
نِدَاءُ البَرَارِي
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net

كتب الفراشة - القصص العالميّة

نِداءُ البَراري



تأليف : جاك لندن

نقلها الى العربيّة : وَجدي رزق غَالي



مَكتبَة لبنَان ناشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٤
رقم الكتاب 01 C 196803
طبع في لبنان



مقدّمة

« نِداءُ البَراري » هِيَ رِوايَةُ جاك لندن الأولى ، وَقَدْ نُشِرَتْ في عامِ ١٩٠٣ وَحَقَّقَتْ نَجاحًا عالَمِيًّا باهِرًا ، وَبِذَلِكَ حَقَّقَتْ لِمُؤَلِّفها الشّابِّ مَكانَةً بِصِفَتِهِ واحِدًا مِنْ أَكْثَرِ المُؤَلِّفينَ شُهْرَةً عَلى مَدى العُصورِ .

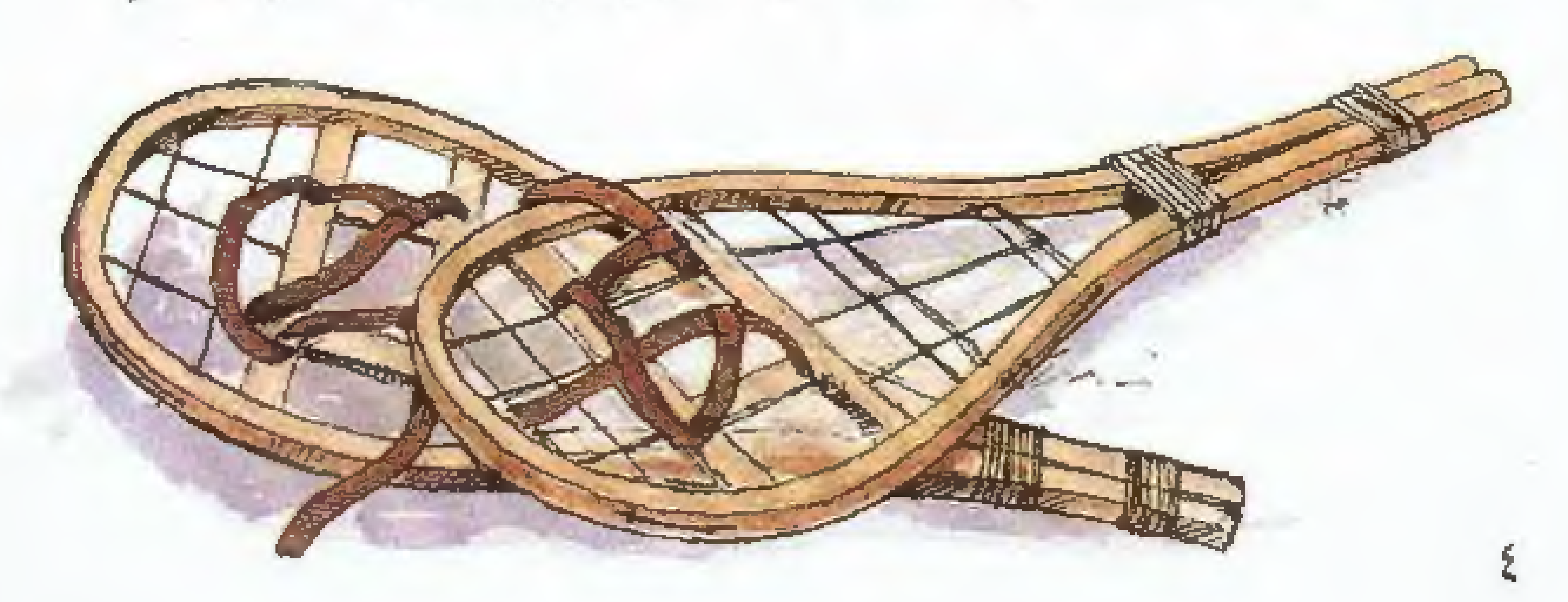
وَتَقومُ القِصَّةُ عَلى تَجْرِبَةِ جاك لندن الشَّخْصِيَّةِ في مَناطِقِ القِفارِ المُتَجَمِّدَةِ بِشَمالِ كندا ، حينَ حاوَلَ تَحْقيقَ الثَّراءِ وَالفِرارَ مِنْ حَياةِ العُمّالِ المُضْنِيَةِ ، شَأْنُهُ في ذَلِكَ شَأْنُ آلافِ الأَشْخاصِ الآخَرينَ ، الَّذينَ تَدَفَّقوا عَلى مِنْطَقَةِ كلونديك بَحْثًا عَنِ الذَّهَبِ . وَقَدْ واءَمَتْ هَذِهِ البِقاعُ ذاتُ الطّابَعِ العُدْوانِيِّ أَهْدافَ القِصَّةِ تَمامًا ؛ فَفي أَرْجاءِ تِلْكَ المِساحاتِ الخاوِيَةِ القاسِيَةِ تَتَّجِهُ كُلُّ الجُهودِ نَحْوَ المُحافَظَةِ عَلى البَقاءِ ، وَيَكونُ أَهَمُّ ما يُمَيِّزُ هَذِهِ الجُهودَ هُوَ مَدى الاقْتِصادِ الفَعّالِ لِلطّاقَةِ البَدَنِيَّةِ وَالجُهْدِ جَنْبًا إِلى جَنْبٍ مَعَ سُرْعَةِ البَديهَةِ . وَيَنْطَبِقُ هَذا عَلى الأَفْرادِ وَالكِلابِ مَعًا ، حَيْثُ يَحْتاجُ كِلا الطَّرَفَيْنِ إِلى تَبادُلِ الوُدِّ وَالاحْتِرامِ لِضَمانِ مُجَرَّدِ البَقاءِ عَلى قَيْدِ الحَياةِ .

وَنَحْنُ إِذْ نَجوسُ خِلالَ هَذِهِ البِقاعِ الكَئيبَةِ ، وَفي صُحْبَةِ أَشْخاصٍ تَخْتَلِفُ دَوافِعُهُمْ وَطَبائِعُهُمْ إِلى حَدٍّ كَبيرٍ ، نَرى أَفْضَلَ وَأَسْوأَ ما في الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ . وَتَدورُ أَحْداثُ هَذِهِ القِصَّةِ حَوْلَ الكَلْبِ بَكْ الَّذي انْتُزِعَ مِنْ رَفاهِيَةِ المَدَنِيَّةِ في مَنْزِلِ القاضي بِكاليفورنيا ثُمَّ دُفِعَ بِهِ إِلى ذَلِكَ العالَمِ الوَحْشِيِّ لِتِجارَةِ الكِلابِ ، إِلّا أَنَّهُ – عَلى الأَقَلِّ – كانَ مَحْظوظًا ؛ حَيْثُ عَمِلَ ضِمْنَ فَريقٍ لِلْكِلابِ وَتَحْتَ مُراقَبَةِ أَعْيُنٍ خَبيرَةٍ

وأَيْدٍ مُدَرَّبَةٍ ؛ مِمّا أتاحَ لَهُ أنْ يَتَخَطّى - فيما بَعْدُ - تِلْكَ العَواقِبَ المَشْؤومَةَ الَّتي تَعَرَّضَ لَها نَتيجَةَ لِطِباعِ المُلّاكِ وَجَهْلِهِمْ ، إلى جانِبِ عَدَمِ خِبْرَتِهِمْ . وَهذا المَزيجُ مِنَ الوُدِّ وَالوَحْشِيَّةِ الَّذي يَظْهَرُ بَيْنَ شَخْصِيّاتِ الكِتابِ ، في النَّواحي الإنْسانِيَّةِ ، يَبْدو أيْضًا بَيْنَ الكِلابِ ؛ حَيْثُ يُشَكِّلُ كِفاحُها مِنْ أجْلِ السَّيْطَرَةِ ، وَكَذلِكَ يُشَكِّلُ كِبْرِياؤُها وَعَواطِفُها نَوْعًا مِنَ النَّسيجِ المُتَشابِكِ لِلْعَلاقاتِ الاجْتِماعِيَّةِ .

وَقَدْ كانَ ذلِكَ الواقِعُ المَريرُ لِلصِّراعِ مِنْ أجْلِ الحَياةِ مُفْجِعًا في حَياةِ الإنْسانِ وَالحَيَوانِ عَلى السَّواءِ ، مِمّا جَعَلَ بَكْ يُدْرِكُ بِسُرْعَةٍ فائِقَةٍ تِلْكَ الخَصائِصَ الَّتي تَتَطَلَّبُها الظُّروفُ . وَهكَذا انْجَذَبَ إلى العِراكِ الوَحْشِيِّ . وَتُؤَكِّدُ نِهايَةُ الرِّوايَةِ أنَّ البَرِّيَّةَ تُقَدِّمُ البَديلَ الوَحيدَ المُخَلِّصَ لِلْوُجودِ القاسي المُسْتَغِلِّ الَّذي عاصَرَهُ بَكْ في صُحْبَةِ البَشَرِ ، حَيْثُ تُقابَلُ المَحَبَّةُ البَريئَةُ - إنْ وُجِدَتْ - بِنَوْعٍ مِنَ القَسْوَةِ المُحْبِطَةِ .

وَيَمْتازُ أُسْلوبُ جاك لندن بِالإثارَةِ وَالتَّشْويقِ ، إلّا أنَّهُ مَعَ ذلِكَ ، شَديدُ الواقِعِيَّةِ ، الأمْرُ الَّذي أكْسَبَهُ تِلْكَ الشَّعْبِيَّةَ العَريضَةَ ؛ فَقَدْ كانَ يَكْتُبُ لِكُلِّ القُرّاءِ لا لِتَصْفيقِ الأُدَباءِ ، كَما كانَ رَجُلاً ذا آراءٍ اشْتِراكِيَّةٍ . وَكانَ قَدْ تَمَرَّسَ بِالأعْمالِ اليَدَوِيَّةِ الزَّهيدَةِ الأجْرِ مِنْ خِلالِ أشَدِّ جَوانِبِها تَعاسَةً ، وَعَلى ضَوْءِ هذا التَّحْليلِ قامَ العَديدُ مِنَ الأشْخاصِ بِتَرْجَمَةِ رِوايَةِ « نِداء البَراري » ، وَهِيَ تَأْخُذُ بِلُبِّ القارِئِ مِثْلَ غَيْرِها مِنَ الرِّواياتِ الجَيِّدَةِ . وَمِنَ الغَريبِ أنَّ الرِّوايَةَ ، رَغْمَ أنَّها لا تُوَضِّحُ رِسالَةً أوْ مَبْدَأً مُعَيَّنًا إلّا أنَّها تُثيرُ عَديدًا مِنَ الأسْئِلَةِ الَّتي تَدْفَعُ بِالقارِئِ نَحْوَ التَّفْكيرِ وَالتَّأَمُّلِ .



نِداء البَراري



في أواخرِ القرْنِ التاسعَ عشرَ ، تمَّ اكْتِشافُ كَميّاتٍ هائلَةٍ مِنَ الذَهَبِ في الأراضي القُطْبيّةِ القاحِلَةِ الواقِعَةِ شَمالَ أمْريكا الشَماليَّةِ ، وسَرْعانَ ما تعرَّضَتْ هذِهِ المَناطِقُ غيرُ الآهِلَةِ بالسُّكّانِ إلى ازْدِحامٍ بَشَرِيٍّ مُفاجِىءٍ ، حَيْثُ نَزَحَ إلى هُناكَ الآلافُ مِنَ البَشَرِ سَعْياً وراءَ الثَّرْوَةِ .



وَكانَتِ الزَّحّافاتُ الَّتي تَجُرُّها الكِلابُ هِيَ الوَسيلَةَ الوَحيدَةَ لِلانْتِقالِ في هَذِهِ المَناطِقِ القُطْبِيَّةِ الشَّمالِيَّةِ خِلالَ شُهورِ الشِّتاءِ الطَّويلَةِ ؛ لِذا فَقَدْ ظَهَرَتْ تِجارَةُ الكِلابِ وَازْدَهَرَتْ ، حَيْثُ كانَ النّاسُ عَلى اسْتِعْدادٍ لِدَفْعِ أَيِّ سِعْرٍ مِنْ أَجْلِ الحُصولِ عَلى كِلابٍ ضَخْمَةٍ وَقَوِيَّةٍ لِتَجُرَّهُمْ عَبْرَ البَراري المُتَرامِيَةِ .

وَقَدْ أَدّى هَذا الطَّلَبُ المُتَزايِدُ عَلى الكِلابِ إِلى تَفَشّي سَرِقَتِها ، وَكانَ مِنْ بَيْنِ هَؤُلاءِ اللُّصوصِ رَجُلٌ وَضيعٌ يُدْعى مانْويل ، يَعْمَلُ بُسْتانِيًّا لَدى أَحَدِ القُضاةِ في

سانْتا كلارا بِوِلايَةِ كاليفورنيا . وَكانَ مانْويل غارِقًا في دُيونٍ عَديدَةٍ ، وَما إِنْ لَمَحَ كَلْبَ القاضي الضَّخْمَ بَكْ وَهُوَ يَجولُ في الضَّيْعَةِ حَتّى قَرَّرَ أَنْ يُضَحّيَ بِبَكْ مِنْ أَجْلِ تَسْديدِ دُيونِهِ .

كانَ بَكْ يَبْدو مُناسِبًا تَمامًا لِلْحَياةِ في القُطْبِ الشَّمالِيِّ ؛ فَقَدْ وَرِثَ الحَجْمَ وَالشَّعْرَ الطَّويلَ عَنْ والِدَيْهِ مِنْ سُلالَةِ سانت بيرنارد وكولي وَكانَ عُمْرُهُ حينَذاكَ أَرْبَعَةَ أَعْوامٍ وَفي ذُرْوَةِ اللِّياقَةِ ، وَقَدِ اشْتَدَّتْ عَريكَتُهُ مِنْ خِلالِ رِحْلاتِ الصَّيْدِ إِلى جانِبِ مُمارَسَتِهِ لِدَوْرِ الزَّعيمِ في ضَيْعَةِ القاضي .



وَلَمْ يَكُنْ بَكْ يَشْعُرُ بِالأسى لانْفِصالِهِ عَنِ القاضي ؛ إذْ إنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ إخْلاصِهِ كانَ بِطَبيعَتِهِ مُنْطَوِيًا ، وَلا يَسْعى مُطْلَقًا لِجَذْبِ الاهْتِمامِ أوْ إظْهارِ المَحَبَّةِ .

تَسامَحَ بَكْ مَعَ مانويل كَما اعْتادَ أنْ يَفْعَلَ مَعَ كُلِّ مُوَظَّفي القاضي ؛ وَتَنازَلَ بِالذَّهابِ مَعَهُ إلى تاجِرِ الكِلابِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ أنَّ الحَبْلَ الَّذي الْتَفَّ حَوْلَ عُنُقِهِ كانَ تَجْرِبَةً جَديدَةً تَمامًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ ، وَلَكِنَّهُ أصْبَحَ أقَلَّ سُرورًا وَزَمْجَرَ مُحَذِّرًا عِنْدَما تَناوَلَ الحَبْلَ شَخْصٌ آخَرُ غَريبٌ .

وَحَتّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ كانَتْ رَغَباتُ بَكْ تُقابَلُ بِاللُّطْفِ ، أمّا زَمْجَرَةُ التَّحْذيرِ فَقوبِلَتْ بِالاحْتِرامِ . وَلَكِنَّهُ سَرْعانَ ما شَعَرَ بِالفَزَعِ عِنْدَما بَدَأ الحَبْلُ يَضيقُ حَوْلَ عُنُقِهِ وَاحْتَبَسَ احْتِجاجُهُ في حَلْقِهِ ، وَإذا بِهِ يَغيبُ عَنِ الوَعْيِ .

وَعِنْدَما أفاقَ بَكْ وَجَدَ نَفْسَهُ في قِطارٍ يَتَحَرَّكُ ، وَما إنْ وَقَعَتْ عَيْناهُ عَلى الرَّجُلِ الَّذي ابْتاعَهُ حَتّى اسْتَعادَ صِياحَهُ ، وَفي لَمْحِ البَصَرِ أطْبَقَ بِفَكَّيْهِ عَلى يَدِ الرَّجُلِ قَبْلَ أنْ يَتَمَكَّنَ خَصْمُهُ مِنْ مَنْعِهِ. وَلَكِنَّهُ وَقَبْلَ أنْ تَغوصَ أنْيابُهُ في يَدِ الرَّجُلِ وَجَدَ نَفْسَهُ طَريحًا عَلى الأرْضِ ، إذْ جَذَبَ الرَّجُلُ الحَبْلَ بِيَدِهِ الأُخْرى ، وَظَلَّ يَفْعَلُ هَذا حَتّى نَجَحَ في دَفْعِ بَكْ داخِلَ أحَدِ الأقْفاصِ حَيْثُ مَكَثَ يَوْمَيْنِ بِدونِ طَعامٍ أوْ ماءٍ ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ أحَدٌ لِيَجْرُؤَ عَلى الاقْتِرابِ مِنْهُ ، فَقَدْ جَعَلَهُ هَذا العَزْلُ أكْثَرَ وَحْشِيَّةً ، حَتّى إنَّ الحَمّالينَ شَعَروا بِارْتِياحٍ بالِغٍ عِنْدَما وَصَلوا إلى وُجْهَتِهِمْ .

وَقامَ رَجُلٌ ضَخْمٌ بِاصْطِحابِ بَكْ مِنَ القِطارِ ، وَكانَ هَذا الرَّجُلُ يَبْدو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لِمَنْظَرِ الحَيَوانِ المُزَمْجِرِ أمامَهُ ، ثُمَّ بَدَأ الرَّجُلُ في إطْلاقِ سَراحِ الكَلْبِ بِواسِطَةِ بَلْطَةٍ صَغيرَةٍ ، وَعِنْدَئِذٍ وَجَدَ بَكْ مُتَنَفَّسًا لِجُنونِهِ مِنْ خِلالِ مُهاجَمَةِ القَفَصِ الخَشَبِيِّ الَّذي تَهَشَّمَ تَحْتَ وَقْعِ ضَرَباتِ البَلْطَةِ .

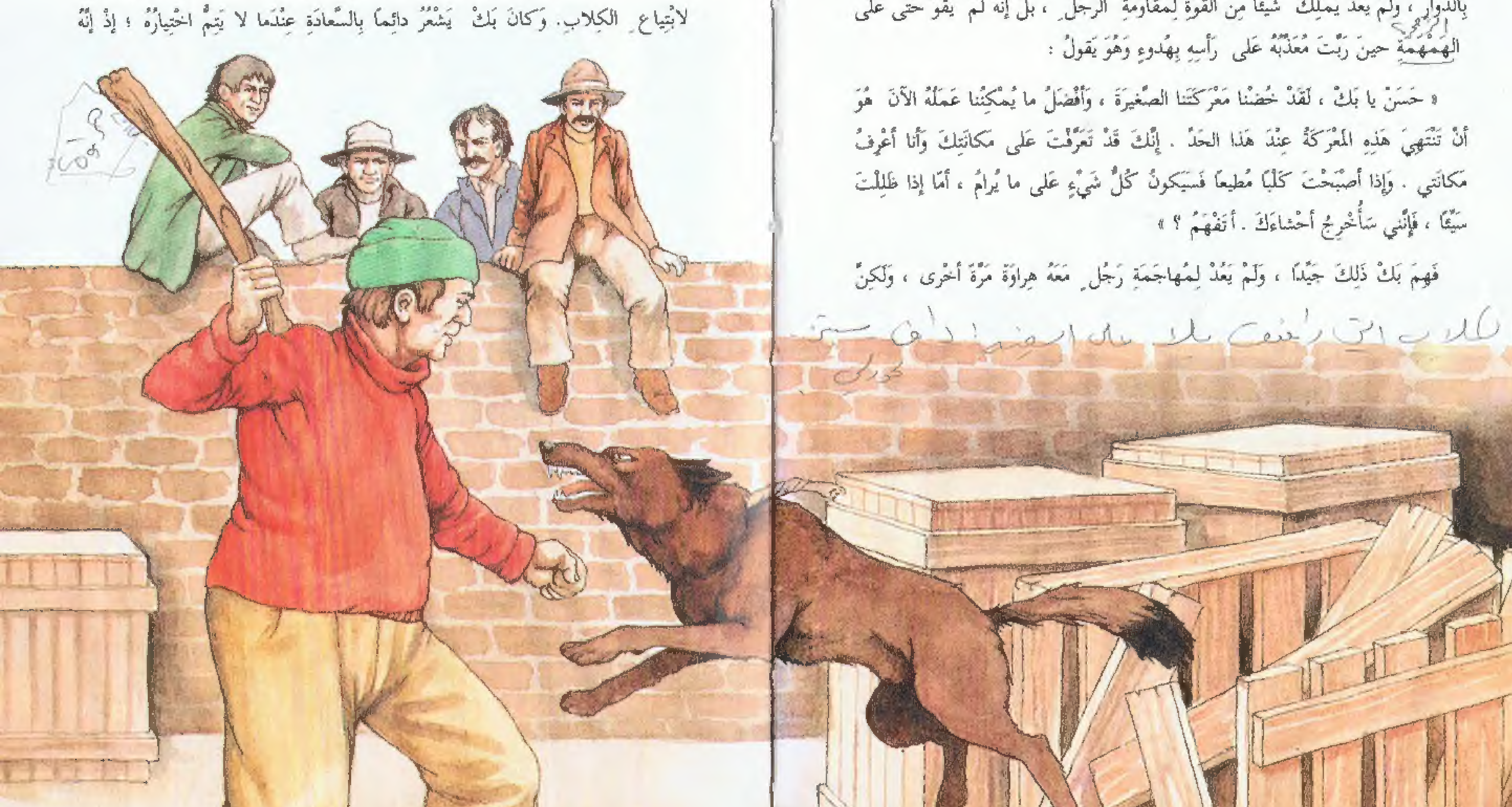
وَما إنْ تَمَكَّنَ بَكْ مِنَ الفِرارِ حَتّى انْدَفَعَ نَحْوَ مُحَرِّرِهِ وَالكَراهِيَةُ تُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ فَجْأةً وَجَدَ نَفْسَهُ وَقَبْلَ أنْ يَتَلاقى فَكّاهُ طَريحًا عَلى الأرْضِ بَعْدَ أنْ دارَ في الهَواءِ نَتيجَةَ ضَرْبَةٍ مِنْ هِراوَةٍ ضَخْمَةٍ .

وَلَمْ يَكُنْ بَكْ قَدْ رَأى هِراوَةً قَطُّ ، وَلَكِنَّهُ سَرْعانَ ما أَدْرَكَ جَيِّداً مَدى الضَّرَرِ الَّذي يُمْكِنُ أَنْ يُصيبَهُ عِنْدَما تُسْتَخْدَمُ . وَاسْتَمَرَّ بَكْ يُناضِلُ في بَسالَةٍ وَثَباتٍ مُحاوِلاً أَنْ يُفْلِتَ مِنْ قَبْضَةِ الرَّجُلِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ اكْتَسى بِالدِّماءِ في حينَ ظَلَّ خَصْمُهُ سَليماً . وَفي النِّهايَةِ انْهَزَمَ بَكْ عَلى أَثَرِ ضَرْبَةٍ ساحِقَةٍ وُجِّهَتْ إِلى أَنْفِهِ مِمّا أَصابَهُ بِالدُّوارِ ، وَلَمْ يَعُدْ يَمْلِكُ شَيْئاً مِنَ القُوَّةِ لِمُقاوَمَةِ الرَّجُلِ ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَقْوَ حَتّى عَلى الهَمْهَمَةِ حينَ رَبَّتَ مُعَذِّبُهُ عَلى رَأْسِهِ بِهُدوءٍ وَهُوَ يَقولُ :

« حَسَنٌ يا بَكْ ، لَقَدْ خُضْنا مَعْرَكَتَنا الصَّغيرَةَ ، وَأَفْضَلُ ما يُمْكِنُنا عَمَلُهُ الآنَ هُوَ أَنْ تَنْتَهِيَ هَذِهِ المَعْرَكَةُ عِنْدَ هَذا الحَدِّ . إِنَّكَ قَدْ تَعَرَّفْتَ عَلى مَكانَتِكَ وَأَنا أَعْرِفُ مَكانَتي . وَإِذا أَصْبَحْتَ كَلْباً مُطيعاً فَسَيَكونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلى ما يُرامُ ، أَمّا إِذا ظَلِلْتَ سَيِّئاً ، فَإِنَّني سَأُخْرِجُ أَحْشاءَكَ . أَتَفْهَمُ ؟ »

فَهِمَ بَكْ ذَلِكَ جَيِّداً ، وَلَمْ يَعُدْ لِمُهاجَمَةِ رَجُلٍ مَعَهُ هِراوَةٌ مَرَّةً أُخْرى ، وَلَكِنَّ إِرادَتَهُ مَعَ ذَلِكَ ظَلَّتْ مُتَماسِكَةً . وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ في مُحاوَلَةِ الهُجومِ عَلى صاحِبِهِ الجَديدِ ، إِلّا أَنَّهُ ظَلَّ مُنْعَزِلاً ، وَلَكِنْ دونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَيْهِ الخَوْفُ أَوِ التَّرَدُّدُ الشَّديدُ كَما تَفْعَلُ بَعْضُ الكِلابِ عِنْدَما تَتَعَرَّضُ لِلضَّرْبِ .

كانَ الرَّجُلُ ذو الهِراوَةِ مِنْ تُجّارِ الكِلابِ ، وَقَدِ اعْتادَ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِ الغُرَباءُ لابْتِياعِ الكِلابِ. وَكانَ بَكْ يَشْعُرُ دائِماً بِالسَّعادَةِ عِنْدَما لا يَتِمُّ اخْتِيارُهُ ؛ إِذْ إِنَّهُ



على الأقلّ سيُتْرَكُ لحاله لدى التّاجر

ولكنْ في النّهاية تمّ بيعُ بكْ ومعهُ كلْبَةٌ أخْرى ضخْمةٌ منْ نوْعِ نيوفوندلاند تُدْعى كورْلي ، وكانَ المُشْتري رجُلاً فرنْسيًّا يُدْعى بيرو ، يعْملُ متعهّدًا للنّقْل لدى الحُكومة الكنديّة ، ويُساعدهُ في هذا العمل رجُلٌ يُدْعى فرانسوا

وَوُضع الكلْبان على متْن سفينةٍ لصيْدِ الحيتانِ متّجهةٍ إلى القطْب الشّماليّ ، وقدْ لحق بهما فيما بعْدُ كلْبٌ آخرُ هادئٌ وصامتٌ يُدْعى داف ، كان مطْلبُهُ الوحيدُ أنْ يُتْرك وشأنَهُ .

كما انْضمَّ إليْهما أيْضًا كَلْبٌ أبْيضُ ضخْمٌ منْ كلاب الإسْكيمو يُدْعى سبيتز . وكانَ يبْدو ودودًا ولكنّهُ في الواقع كان غادرًا ومُحْتالاً ، يَهُزُّ ذيْلَهُ عنْدما يسْرقُ طَعامَها أوْ يُقْحِمُ نَفْسَهُ في إثْمٍ منْ هَذا القَبيلِ .

ومرّتِ الرِّحْلَةُ سَريعًا ، ولَمْ يَلْبَثْ بكْ أنْ وَطّنَ نَفْسَهُ على احْترامِ مالكيهِ الجُدُدِ بعْدَ أنْ اتّضحَ لهُ مدى ما يتّصفون بهِ منْ عدْلٍ وأمانةٍ ؛ فهُمْ دائمًا يوقعون الجزاءَ في موْضعِهِ ، كَما أنّهُمْ أيْضًا يفُضّونَ المعاركَ التي تنْشبُ بيْن كلابهمْ في عدْلٍ وإنْصافٍ وبِدونِ مُحاباةٍ .

وما إنْ وصلوا إلى وُجْهتِهمْ حتّى وجد بكْ نفْسهُ في عالمٍ جديدٍ تمامًا ، فقدْ





وَلّى مُناخُ كاليفورنيا المُسالِمُ حيْثُ يتمدّدُ النّاسُ تحْتَ أشِعَّةِ الشّمْسِ في سعادةٍ ، كَما أنّ الأراضِيَ هُنا تبْدو كَئيبَةً وغيْرَ مُرحِّبَةٍ ولأنّ اسْتِمْرارَ الحَياةِ غيْرُ مضمونٍ ؛ لِذا كانَتْ تُعْتبَرُ كُلُّ حرَكةِ نَشاطٍ ذات أهمّيّةٍ حيويّةٍ ، حتّى تِلْكَ الأعْمالُ البَسيطَةُ كالسّيْرِ مثلاً ؛ فلا وَقْتَ هُناكَ لِلثّرْثَرةِ الفارِغَةِ أوْ لِلْجَوْلاتِ المَسائيّةِ .

وكانَ الرِّجالُ والحيواناتُ في مِنْطَقَةِ الشّمالِ يَغْلِبُ علَيْهِمُ العُبوسُ والصّمْتُ ، ويسْتغْرِقُهُمُ الصِّراعُ مِنْ أجْلِ البَقاءِ ، حيْثُ يَسْتَطيعُ الأقْوِياءُ مِنْهُمْ فقَطْ تَحمُّلَ قَسْوةِ الحياةِ اليوْميّةِ .

وَسُرْعانَ ما بَدا جَلِيًّا لِبَكْ مَدى خُشونَةِ الحَياةِ ، عِنْدَما قامَتْ صَديقَتُهُ كورْلي بِمُبادَراتٍ اجْتِماعِيّةٍ نَحْوَ كَلْبِ الإسْكيمو . وَما إنْ خَطَتْ كورْلي نَحْوَهُ بِضْعَ خُطُواتٍ

وَهِيَ تُبَصْبِصُ بذَنَبِها حتّى وَثَبَ كَلْبُ الإسْكيمو نَحْوَها في صَمْتٍ مُمَزِّقًا وَجْهَها مِنَ العَيْنِ حتّى الفكّ ، موقَفَتِ الكَلْبَةُ المِسْكينَةُ في ذُهولٍ تامٍّ ، وَإذا بِالكَلْبِ يُعاوِدُ الهُجومَ مَرّةً أُخْرى ويَدْفَعُ قَوائِمَها مِنْ تَحْتِها .

وَفي اللّحْظَةِ الّتي انْهارَتْ فيها عَلى الأرْضِ إذا بِثَلاثينَ أوْ أرْبَعينَ كَلْبًا آخَرَ مِنْ كِلابِ الإسْكيمو تَلْحَقُ بِالمعْرَكَةِ ، وَإذا بِالحَياةِ تُنْتَزَعُ مِنْ كورلي في وَحْشِيّةٍ . وَما إنْ لاحَظَ بَكْ ذَلِكَ حَتّى بَدَأَ يَكْرَهُ الكَلْبَ الضّخْمَ الأبْيَضَ سبيتز كَراهِيَةً عَميقَةً ، إلى حَدِّ أنّهُما تَحوّلا إلى عَدُوَّيْنِ مُنْذُ تِلْكَ اللّحْظَةِ وَإلى الأبَدِ .

لَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ عَلى هَذِهِ البِدايَةِ الوَحْشِيّةِ لأساليبِ الشّمالِ حَتّى اكْتَشَفَ بَكْ أنَّ عَلَيْهِ أنْ يَتَحَوّلَ إلى كَلْبِ لِجَرِّ الزّحّافاتِ .

وَبَدَأَ أَوَّلُ دَرْسٍ لَهُ بِوَضْعِهِ بَيْنَ داف وَ سيتز لِيُساعِدَهُما في جَرِّ الخَشَبِ ، وَكانَ كِلا الكَلْبَيْنِ مُتَمَرِّساً في هذا العَمَلِ ، بَلْ كانا لا يَتَرَدَّدانِ مُطْلَقاً في تَأْنِيبِهِ عِنْدَ الخَطَإِ ، أَوِ التَّباطُؤِ ، فَقَدْ كانَتْ أَنْيابُ داف تَسْتَقِرُّ فَوْقَ الرُّبْعِ الخَلْفِيِّ مِنْ جِسْمِهِ ، عَلى حينِ يَكونُ سبيتز أَمامَهُ بِزَمْجَراتِهِ المُحَذِّرَةِ وَدَفَعاتِهِ وَعَصَبِيَّاتِهِ المُفاجِئَةِ ، الأَمْرُ الَّذي دَفَعَهُ لِيَتَعَلَّمَ بِسُرْعَةٍ ؛ مِمّا جَعَلَهُ خِلالَ بِضْعِ ساعاتٍ قادِراً عَلى التَّجاوُبِ مَعَ أَوامِرِ فرانسوا .

وَانْضَمَّ إِلَيْهِما في ذَلِكَ المَساءِ ثَلاثَةُ كِلابٍ أُخْرى ، كانَ مِنْ بَيْنِها كَلْبٌ مُحَنَّكٌ يُدْعى سول ليكس . وَكانَ أَعْوَرَ وَتَنْتَشِرُ في وَجْهِهِ نُدوبُ المَعارِكِ ؛ مِمّا كانَ بِمَثابَةِ تَحْذيرٍ لِكُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ اقْتِحامَ عُزْلَتِهِ .

وَكانَ الكَلْبانِ الآخَرانِ أَخَوَيْنِ مِنْ كِلابِ الإِسْكيمو الأَصْلِيَّةِ ، أَحَدُهُما مُشاكِسٌ عُدْوانِيٌّ وَيُدْعى جو . أَمّا الآخَرُ ، بيللي ، فَكانَ حَسَنَ الطِّباعِ حَريصاً عَلى إِرْضاءِ الآخَرينَ .

وَعَلى الفَوْرِ قامَ سبيتز بِتَأْكيدِ نُفوذِهِ كَقائِدٍ لِلْفَريقِ ، بِعَرْضِ أَنْيابِهِ في القادِمينَ الجُدُدِ ، وَكانَ بيللي هُوَ الوَحيدَ الَّذي تَلَقّى العِقابَ المُتَعَمَّدَ وَمَعَ ذَلِكَ تَراجَعَ سبيتز عَنِ التَّحَرُّشِ بِسول - ليكس ، أَمّا جو فَكانَ يُكَشِّرُ عَنْ أَنْيابِهِ عِنْدَ كُلِّ هُجومٍ ، بِالرَّغْمِ مِنَ الخَوْفِ الَّذي كانَ واضِحاً عَلَيْهِ .

انْخَفَضَتْ دَرَجَةُ الحَرارَةِ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْخِفاضاً حادّاً ، فَبَدَأَ بَكْ يُفَكِّرُ في كَيْفِيَّةِ مُقاوَمَةِ اللَّيْلِ في هَذِهِ الأَراضي القُطْبِيَّةِ المُقْفِرَةِ ، فَدَفَعَتْهُ الغَريزَةُ نَحْوَ الوَهَجِ المُثيرِ المُنْبَعِثِ مِنَ النّارِ الَّتي أَوْقَدَها الرِّجالُ ، وَلَكِنَّهُ سُرْعانَ ما أُجْبِرَ عَلى أَنْ يَبْحَثَ لِنَفْسِهِ عَنْ فِراشٍ بارِدٍ بَيْنَ الثُّلوجِ ، بَعْدَ أَنْ دَفَعَهُ الرِّجالُ بَعيداً بِمُخْتَلِفِ الوَسائِلِ .

وَحالَ الصَّقيعُ وَالرِّياحُ البارِدَةُ بَيْنَ بَكْ وَالنَّوْمِ ، فَبَدَأَ يَجولُ حَوْلَ المُعَسْكَرِ في



تَحاذُلِ بَحْثًا عَنْ الكِلابِ الأُخرى الّتي بَدا أنّها قَدِ اخْتَفَتْ.

وَكادَ بَكْ يَتَعَثَّرُ بِشَيْءٍ على الأَرْضِ، فَتَراجَعَ وَنَظَرَ، وَإذا بِهِ يَرى رَأْسًا يَخْرُجُ مِنْ حُفْرَةٍ بَيْنَ الثَّلْجِ. تَقَدَّمَ نَحْوَهُ فَتَحَرَّكَ وَمَدَّ لِسانَهُ وَلَعِقَ وَجْهَهُ. إكْتَشَفَ بَكْ وَهُوَ في دَهْشَةٍ بالِغَةٍ أَنَّ هَذا الرَّأْسَ لَمْ يَكُنْ سِوى بيللي الّذي تَكَوَّمَ جِسْمُهُ كَالكُرَةِ تَحْتَ الثَّلْجِ.

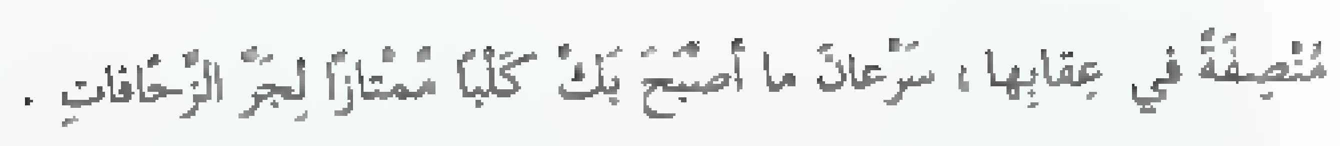
وَكانَ يَبْدو عَلى بيللي الدِّفْءُ التّامُّ، فَقَرَّرَ بَكْ أَنْ يَحْذُوَ حَذْوَ زَميلِهِ وَيَزُجَّ بِنَفْسِهِ داخِلَ إحْدى حُفَرِ النَّوْمِ، وَكانَ هَذا هُوَ أَوَّلَ الدُّروسِ الّتي تَعَلَّمَها بِالنِّسْبَةِ لِلْحَياةِ في المِنْطَقَةِ القُطْبِيَّةِ المُتَجَمِّدَةِ. وَكانَ لِسُرْعَةِ تَأَقْلُمِهِ مَعَ سُلوكِ هَذا النَّوْعِ مِنْ

كلاب الإسكيمو القطبية الفضل في بقائه على قيد الحياة في ذلك الشمال المتجمد .

وفي صباح اليوم التالي انضم إلى الفريق ثلاثة كلاب جديدة من كلاب الإسكيمو ، ثم بدأت الرحلة الطويلة عبر البراري المتجمدة . وما إن تم وضع الأطقم للكلاب حتى انصهرت شخصياتها المختلفة ، وبعد أن كانت تسعة كائنات متنوعة أصبحت وحدة واحدة فعالة تفكر وتتحرك كالكيان الواحد .

وكان هذا التحول واضحا بطريقة ملحوظة بالنسبة لداف وسول - ليكس ؛ إذ اجتاحهما حبور شديد محل عبوسهما المعتاد ، واندمجا بكل مشاعرهما في العمل الذي كان المصدر الوحيد لسرورهما .

وتم وضع بك بين هذين المحنكين ، فلم يلبث أن تعلم ألا يتسبب في تعطيل الفريق بإرباك حبل الجر أو التباطؤ . ولم تكن أنياب الكلبين أو سوط فرانسوا بالأشياء التي يستهان بها في سرعة تصحيح الأخطاء ، ولكن لأنها كانت

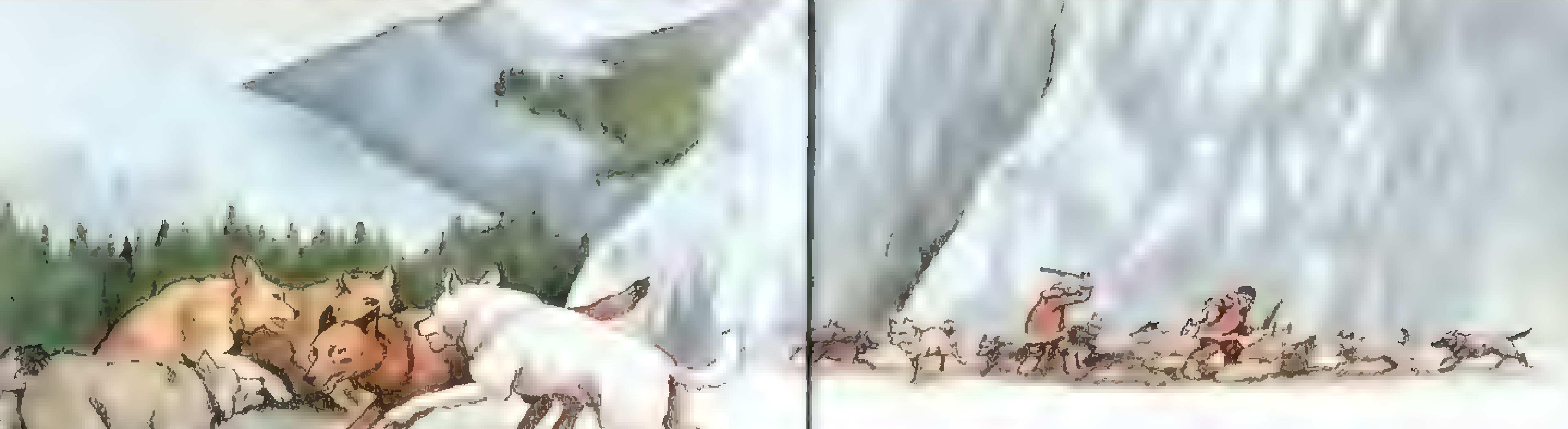

منصفة في عقابها ، سرعان ما أصبح بك كلبا ممتازا لجر الزحافات .

مرت الأيام سراعا وهم يعبرون تلك الأراضي القاحلة ، وكان بك يزداد صلابة ولياقة مع كل تجربة يواجهها وازدادت حدة حواسه ، كما بدأت عدة غرائز في التيقظ مرة أخرى بعد أن كانت مغمورة في ظل حياة المدنية السابقة ؛ إذ أصبح في قتاله وعوائه يشبه الذئب ، كما اكتسب دهاء عميقا أتاح له التأقلم مع حياة الشمال ، التي أهلكت العديد من كلاب الجنوب.

وظهر هذا الدهاء جليا عندما تعلم كيف يضيف إلى حصته الهزيلة من الطعام عن طريق السرقة ، وكان من الدهاء بحيث لم يكتشف قط ، بل إن الكلاب الأخرى هي التي كانت تتلقى العقاب دائما على الجرائم التي ارتكبها هو .

كما تعلم بك أيضا إلى جانب سرقاته كيف يزدرد بسرعة نصيبه من أسماك السالمون المجففة مهما كانت رديئة المذاق ؛ لأنه اكتشف سريعا أن التريث في





أَكْل الطَّعام سَيُتيحُ لأقْرانِهِ في الفَريقِ الفُرْصَةَ للاسْتيلاءِ عَلَيْهِ .

وَسَرْعانَ ما أصْبَحَ بَكْ مُقاتِلاً مُحْتَرِفًا في مَجالِ الدِّفاعِ عَنْ طَعامِهِ الخاصِّ ، إلاّ أنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْعى لِلْقِتالِ ، بَلْ عادَةً ما كانَ يَتَجَنَّبُهُ مُتَعَمِّدًا ، ولكنْ سبيتز كانَ يُناصِبُهُ العَداءَ عَنْ قَصْدٍ فَيَنْقَضُّ عَلَيْهِ وَيُؤْذيهِ ، في مُحاوَلاتٍ دائِمَةٍ لإثارَتِهِ وَدَفْعِهِ إلى قِتالٍ شَرِسٍ قَدْ يُؤَدّي إلى مَصْرَعِ أحَدِهِما .

وَفي إحْدى اللَّيالي اسْتَوْلى سبيتز عَلى عُشِّ النَّوْمِ الَّذي اخْتارَهُ بَكْ في بُقْعَةٍ مُسْتَتِرَةٍ تَحْتَ إحْدى الصُّخورِ المُعَلَّقَةِ ، وَاغْتاظَ بَكْ إلى حَدِّ أنَّهُ قَفَزَ لِمُعاقَبَةِ المُعْتَدي ، في جُنونٍ أدْهَشَ الكَلْبَ الآخَرَ الَّذي كانَ يَظُنُّ دائِمًا أنَّهُ جَبانٌ ، وَلكِنَّهُ عِنْدَما أفاقَ مِنْ صَدْمَتِه ، تَخَلّى عَنْ رَغْبَتِهِ في الانْتِقامِ ؛ لِذا قَفَزَ على قَدَمَيْهِ وهُوَ يَصيحُ في غَيْظٍ عَصَبِيٍّ ، ثُمَّ بَدَأَ يَدورُ حَوْلَ بَكْ في حَذَرٍ بَحْثًا عَنْ مَهْرَبٍ .

وفَجْأةً دَبَّ نَشاطٌ مُفاجِئٌ في أنْحاءِ المُعَسْكَرِ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ ؛ فَقَدْ أغارَتْ على مُؤَنِ المُعَسْكَرِ مَجْموعَةٌ مِنْ كِلابِ الإسْكيمو العارِيَةِ ، وَالَّتي وَفَدَتْ مِنْ إحْدى القُرى المُجاوِرَةِ ، وعِنْدَئِذٍ نَسِيَتِ الكِلابُ في التَّوِّ كُلَّ المُشاحَناتِ الشَّخْصِيَّةِ ،

وَاتَّحَدَتْ كُلُّها لِرَدِّ المُعْتَدي ..

هاجَمَتْ كِلابُ الإسْكيمو المُغيرَةُ فَريقَ الكِلابِ بِالمُعَسْكَرِ في ضَراوَةٍ ، وَوَجَدَ بَكْ نَفْسَهُ مُحاطًا بِثَلاثَةِ كِلابٍ قَدْ طاشَ صَوابُها مِنَ الجوعِ ، وهاجَمَتْهُ في شَراسَةٍ ولكِنَّهُ ناضَلَ بِكَفاءَةٍ ؛ إذْ أتاحَ لَهُ حَجْمُهُ ؛ وَقُوَّتُهُ تَمَيُّزًا قَوِيًّا بَيْنَ خُصومِهِ الجائِعَةِ ، إلاّ أنَّهُ شَعَرَ بِالمَرارَةِ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلى حِمايَةِ نَفْسِهِ مِنْ عُدْوانِ سبيتز قائِدِ الفَريقِ عِنْدَما هاجَمَهُ مِنَ الخَلْفِ غَدْرًا .

وَتَمَنّى سبيتز أنْ يَكْبُوَ بَكْ لِعِلْمِهِ أنَّ كِلابَ الإسْكيمو لَنْ تَسْمَحَ لَهُ بِالنُّهوضِ مَرَّةً أُخْرى ، ولكِنَّ بَكْ لَمَحَ بِطَرَفِ عَيْنِهِ الجَسَدَ الأبْيَضَ المُتَحَفِّزَ ، وَاسْتَطاعَ في اللَّحْظَةِ الأخيرَةِ أنْ يَلُفَّ جَسَدَهُ لِيَتَفادى التَّصادُمَ ، فَارْتَطَمَ سبيتز بِكَتِفِهِ ، وظَلَّتْ عَيْنُ بَكْ بَعْدَ ذلِكَ يَقِظَةً تُراقِبُ عَدُوَّهُ ، ولَمْ يَشْعُرْ بِالارْتِياحِ إلاّ بَعْدَ إبْعادِ كِلابِ الإسْكيمو مِنَ المُعَسْكَرِ نِهائِيًّا لِعِلْمِهِ أنَّهُ لَنْ يُهاجَمَ عَلى غِرَّةٍ بَعْدَ ذلِكَ .

كانَ الفَريقُ في حالَةٍ سيِّئَةٍ بَعْدَ المَعْرَكَةِ ؛ فَقَدْ أُصيبَتْ كُلُّ الكِلابِ بِجُروحٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَكانَ بَعْضُ هَذِهِ الإصاباتِ خَطيرًا ، وَتَلِفَ حَبْلُ جَرِّ الزَّحّافَةِ تَمامًا ، كَما تَمَّ السَّطْوُ عَلى نِصْفِ المُؤَنِ ، الأَمْرُ الَّذي كانَ في الواقِعِ بِمَثابَةِ خَسارَةٍ فادِحَةٍ ، إذْ « لا يُمْكِنُ أَنْ يَأْمُلَ رَجُلٌ أَوْ كَلْبٌ في مُجابَهَةِ الظُّروفِ القاسِيَةِ لِشِتاءِ الشَّمالِ وَهُوَ



مُجَرَّدٌ مِنَ المُؤَنِ الكافِيَةِ »

اِكْتَشَفَ كُلٌّ مِنْ بيرو وَفرانسوا أَنَّ أَمَلَهُما الوَحيدَ يَنْحَصِرُ في الحَثِّ عَلى التَّقَدُّمِ بِأَسْرَعِ ما يُمْكِنُ ، وَعَدَمِ إضاعَةِ الوَقْتِ في النُّواحِ عَلى الخَسائِرِ ؛ فَمِنْ سوءِ الحَظِّ أَنَّ الرِّحْلَةَ تَمْتَدُّ خِلالَ مِنْطَقَةٍ بالِغَةِ الخُطورَةِ ، حَيْثُ تَتَعَرَّضُ الحَياةُ وَكُلُّ ما يُحيطُ بِها لِلْمُخاطَرَةِ المُسْتَمِرَّةِ .

كانَ التَّقَدُّمُ بَطيئًا ، وَكانوا يَتَحَرَّكونَ خِلالَ أَحَدِ الأَنْهارِ الحَديثَةِ التَّجَمُّدِ ، وَكَثيرًا ما كانَ يَحْدُثُ بَيْنَ وَقْتٍ وَآخَرَ أَنْ يَغوصَ أَحَدُ الرِّجالِ أَوْ حَتّى الزَّحّافَةُ في الجَليدِ . فَتَجُرُّ مَعَها فَريقَ الكِلابِ إلى الأَعْماقِ السَّحيقَةِ الحالِكَةِ الظَّلامِ . وَعِنْدَئِذٍ تَقومُ المَجْموعَةُ بِسَحْبِ الضَّحايا التَّعِسَةِ وَقَدْ كَسَتْها الثُّلوجُ . وَكانَ عَلى المَجْموعَةِ أَنْ تَتَوَقَّفَ انْتِظارًا لِإشْعالِ النّارِ وَتَدْفِئَةِ الضَّحايا ؛ لِإذابَةِ الجَليدِ قَبْلَ أَنْ تَتَجَمَّدَ



الدماءُ داخلَ أجسادِها بسببِ البردِ القارسِ .

أصبحتِ الرُّفقةُ التي تجمعُ بينَ الرَّحلِ والكلْبِ أمرًا بالغَ الحيويَّةِ ، بحيثُ لا يستطيعُ أحدُهُما أنْ يحيا بدونِ الآخرِ . ونشأَ نوعٌ مِنَ الاحترامِ المتبادَلِ بينَ الرَّحالِ والكلابِ نتيجةً لذلكَ التَّعاونِ المُشْتَرَكِ بينهُما .

وبذلَتِ الكلابُ كُلَّ ما في وُسْعِها لجذْبِ الزَّحافَةِ بكفاءةٍ ، في حينَ ظلَّ كُلٌّ مِنْ بيرو وفرانسوا في تيقُّظٍ دائمٍ لتوفيرِ احتياجاتِ الفريقِ مِنْ حيثُ إطعامُها في أفضلِ صورةٍ مُمكنةٍ مِنَ المُؤَنِ الضَّئيلةِ المُتوفِّرةِ ، إلى جانبِ فحصِ مخالبِها بعنايةٍ كُلَّ ليلةٍ ؛ لِملاحظةِ الجروحِ وكُتَلِ الجليدِ العالقةِ بها .

على بَكْ بِصِفةٍ خاصَّةٍ مِنَ احتقانِ أقْدامِهِ ، بسببِ ليونةِ الوسائدِ الَّتي تُبطِّنُها ، على عكْسِ كِلابِ الإسكيمو الأصليَّةِ ، نظرًا لِطبيعةِ الحياةِ السَّهلةِ الَّتي كانَ ينعمُ بها أجدادُهُ في كاليفورنيا مِنْ قَبلُ . وكانَ بَكْ يَعْرجُ خلالَ النَّهارِ ، وفي اللَّيلِ يرفُضُ أنْ يتحرَّكَ مِنْ مَكْمنِهِ ولا حتَّى مِنْ أجلِ تناوُلِ الطَّعامِ ؛ فكانَ على فرانسوا أنْ يذهبَ إليهِ بنفسِه .

وفي النِّهايةِ استطاعَ بيرو أنْ يحُلَّ المُشكلةَ بعمَلِ حِذاءٍ ليِّنٍ لِكُلِّ قدَمٍ مِنْ أقْدامِ بَكْ ، وبَعْدَ ذلكَ رفَضَ الكَلْبُ أنْ يتحرَّكَ بدونِ حذائِهِ ، إلى أنْ أصْبحَتْ بُطونُ أقدامِهِ مِنَ الصَّلابةِ بِحيثُ تتحمَّلُ قَسْوةَ الجَليدِ .

ظَلَّ بيرو وفرانسوا يُراقِبانِ كِلابَهُما في يَقَظَةٍ تامَّةٍ مُنْذُ هُجومِ كِلابِ الإسْكيمو المُتَوَحِّشَةِ ، لِمُلاحَظَةِ دَلائِلِ مَرَضِ السُّعارِ الرَّهيبِ الَّذي قَدْ يَكونُ مُنْتَشِراً بَيْنَ تِلْكَ الكِلابِ العازِيَةِ ؛ لِذا ، لَمْ يَدْهَشا لِما حَدَثَ في أَحَدِ الأَيّامِ أَثْناءَ إِعْدادِ الفَريقِ لِلْجَرِّ عِنْدَما أُصيبَتْ إِحْدى كِلابِ الإسْكيمو بِالجُنونِ المُفاجِئِ ، وَكانَتْ مِنْ قَبْلُ تَتَمَيَّزُ بِالهُدوءِ ، وَتُدْعى دوللي . وَكانَ التَّحْذيرُ الوَحيدُ الَّذي أَرْسَلَتْهُ عِبارَةً عَنْ عُواءٍ واحِدٍ مُرْعِبٍ أَطْلَقَتْهُ قَبْلَ أَنْ تَنْدَفِعَ نَحْوَ بَكْ وَقَدْ كَشَّرَتْ عَنْ أَنْيابِها وَطَفا الزَّبَدُ مِنْ فَمِها .

وَلَمْ يُحاوِلْ بَكْ أَنْ يَتَصَدّى لِلْهُجومِ ، وَلكِنْ دَفَعَتْهُ الفِطْرَةُ لأَنْ يَسْتَديرَ وَيُوَلّيَ الأَدْبارَ ، فَتَبِعَتْهُ دوللي وَتَسابَقَ الكَلْبانِ في جُنونٍ حَوْلَ المُعَسْكَرِ وَلكِنْ دونَ أَنْ يَنْجَحَ أَيٌّ مِنْهُما في التَّغَلُّبِ عَلى الآخَرِ . وَغَلَبَ اليَأْسُ بَكْ فَانْدَفَعَ نَحْوَ فرانسوا مِنْ مُنْطَلَقِ ثِقَتِهِ العَمْياءِ في إِنْقاذِ الرَّجُلِ لَهُ مِنْ بَراثِنِ ذَلِكَ الشَّيْطانِ الَّذي يُلاحِقُهُ ، وَلَمْ يَخْذُلْ بَكْ ؛ إِذْ ما كادَ يَهْرُبُ نَحْوَ هذا الأَمَلِ الأَخيرِ في النَّجاةِ حَتّى سَمِعَ صَوْتَ بَلْطَةِ فرانسوا وَهِيَ تَدُقُّ عُنُقَ دوللي فَتُنْهي حَياتَها شَفَقَةً بِها .

سَقَطَ بَكْ مُنْهاراً مِنَ الإِجْهادِ ، وَلكِنْ لَمْ يُسْمَحْ لَهُ بِالرّاحَةِ ؛ إِذْ إِنَّ هذا المَوْقِفَ

أَتاحَ الفُرْصَةَ لِعَدُوِّهِ لِيَقْتَنِصَهُ بَغْتَةً ، فَقَفَزَ سبيتز نَحْوَهُ كَإِعْصارٍ هائِجٍ ، وَلكِنَّ فرانسوا هُرِعَ لِحِمايَةِ بَكْ مُسْتَخْدِماً سَوْطَهُ في كَرَمٍ بالِغٍ ، مِمّا أَجْبَرَ سبيتز عَلى النُّكوصِ ، إِلّا أَنَّهُ كانَ واضِحاً أَنَّ الكَلْبَيْنِ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُتابِعا مَعْرَكَتَهُما لِيَصِلا بِها إِلى النِّهايَةِ .

بَدَأَ بَكْ يُعْلِنُ في وُضوحٍ تَحَدِّيَهُ لِزَعامَةِ سبيتز ، وَكُلَّما حاوَلَ سبيتز أَنْ يُعاقِبَ أَحَداً مِنْ أَعْضاءِ الفَريقِ بِسَبَبِ خَطَإٍ ما في عَمَلِيَّةِ الجَرِّ ، إِذا بِبَكْ يُسْرِعُ بِالقَفْزِ لِحِمايَةِ الجاني وَقَدْ أَوْجَدَ هذا العِصْيانُ نَوْعاً مِنَ التَّوَتُّرِ بَيْنَ أَفْرادِ الفَريقِ بِأَكْمَلِهِ ، الأَمْرُ الَّذي أَزْعَجَ فرانسوا ؛ لأَنَّ الفَريقَ أَصْبَحَ لا يَعْمَلُ كَوَحْدَةٍ واحِدَةٍ فَعّالَةٍ .

وَفي إِحْدى الأُمْسِيّاتِ حَدَثَتِ الأَزْمَةُ ، عِنْدَما انْضَمَّ الفَريقُ بِأَكْمَلِهِ ما عَدا



سبيتز إلى مَجْموعَةٍ مِنْ كِلابِ الإسْكيمو لِصَيْدِ أحَدِ الأرانِبِ ، فَأسْرَعَ بَكْ بِتَوَلّي القِيادَةِ . وَما إنْ أصْبَحَ على بُعْدِ بِضْعِ خُطُواتٍ مِنْ ضَحِيَّتِهِ حَتّى قَفَزَ سبيتز فَجْأةً مِنْ مَخْبَئِهِ بَيْنَ الأشْجارِ ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ أمامَهُ غارِساً أسْنانَهُ في جَسَدِ الأرْنَبِ الدّافِئِ .

شَعَرَ بَكْ بِالإحْباطِ الشَّديدِ لِضَياعِ فَريسَتِهِ ، وَاجْتاحَتْهُ شَهْوَةُ الدَّمِ . فَتَحَوَّلَ اهْتِمامُهُ في الحالِ نَحْوَ سبيتز وَسْطَ وُجومِ مَجْموعَةِ كِلابِ الإسْكيمو ، الَّتي وَقَفَتْ تُراقِبُ المَوْقِفَ وَقَدِ اصْطَفَّتْ في حَلْقَةٍ صامِتَةٍ حَوْلَ الخَصْمَيْنِ .

وَكانَ بَكْ أَضْخَمَ الكَلْبَيْنِ إلى جانِبِ ما يَحْتاجُهُ مِنْ هِياجٍ لَهُ ما يُبَرِّرُهُ ، أمّا سبيتز فَكانَ يَفوقُ بَكْ خِبْرَةً ، الأَمْرُ الَّذي اتَّضَحَ سَريعاً ، حينَ حاوَلَ بَكْ عِدَّةَ مَرّاتٍ أَنْ يَصِلَ إلى الرَّقَبَةِ البَيْضاءِ لِخَصْمِهِ ، وَلَكِنْ تَحَرُّكاتِهِ كانَتْ دائِماً مُتَوَقَّعَةً ؛ إذْ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ سِوى أَنْيابٍ حادَّةٍ في انْتِظارِهِ . كَذَلِكَ باءَتْ مُحاوَلاتُهُ كُلُّها لِضَرْبِ سبيتز بِكَتِفِهِ بِالفَشَلِ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ شَعَرَ بِقَطَراتِ الدِّماءِ تَنْبَثِقُ مِنْ عِدَّةِ جُروحٍ ، في حينِ ظَلَّ سبيتز سَليماً .

وَما إنْ بَدَأَ الوَهَنُ يَبْدو عَلى بَكْ حَتّى بادَرَ سبيتز بِالهُجومِ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ اتِّجاهٍ ، في مُحاوَلَةٍ لِلْقَضاءِ عَلى ما تَبَقّى مِنْ تَوازُنٍ لَدَيْهِ . وَاقْتَرَبَتْ مَجْموعَةُ كِلابِ الإسْكيمو وَهِيَ تَلْعَقُ شِفاهَها في تَرَقُّبٍ ، وَهِيَ تَتَوَقَّعُ أَنَّ بَكْ سُرْعانَ ما سَيُصْبِحُ تَحْتَ رَحْمَتِها ، وَلَكِنَّ بَكْ لَمْ يَكُنْ قَدْ هُزِمَ بَعْدُ .

وَكانَ بَكْ يُقاتِلُ بِالفِطْرَةِ إلى جانِبِ الذَّكاءِ ، وَما إنْ تَزايَدَ الضَّغْطُ عَلَيْهِ حَتّى قامَ بِتَغْييرِ خُطَطِهِ فَجْأَةً ، حَيْثُ تَظاهَرَ بِالانْدِفاعِ نَحْوَ سبيتز وَأَخَذَ يُناوِرُهُ عِنْدَ كَتِفَيْهِ ، وَلَكِنْ في اللَّحْظَةِ الأَخيرَةِ هَبَطَ وَانْقَضَّ عَلى ساقِ سبيتز الأَمامِيَّةِ ، وَإذا بِصَوْتِ طَقْطَقَةٍ يَتَرَدَّدُ مُعْلِناً أَنَّ العَظْمَ قَدْ تَهَشَّمَ تَحْتَ وَقْعِ فَكَّيْهِ ، وَفَجْأَةً أَصْبَحَ النَّصْرُ حَليفَ بَكْ .

كانَ سبيتز يُناضِلُ في بَسالَةٍ وَلَكِنْ ما إنْ تَعَرَّضَتْ ساقُهُ الأُخْرى الأَمامِيَّةُ لِنَفْسِ المَصيرِ حَتّى لَمْ يَعُدْ يَقْوى عَلى الاسْتِمْرارِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَهَوى عَلى الأَرْضِ مُرْغَماً ، وَخِلالَ بِضْعِ ثَوانٍ كانَ قَدْ غاصَ تَماماً تَحْتَ أَقْدامِ مَجْموعَةِ كِلابِ الإسْكيمو . وَرَغْمَ أَنَّ هَذِهِ النَّتيجَةَ لَمْ تَكُنْ مُتَوَقَّعَةً لِلْمَعْرَكَةِ إلّا أَنَّ الأَفْواهَ المُتَلَهِّفَةَ تَلَقَّتِ الضَّحِيَّةَ بِلا تَمْييزٍ .

في مِثْلِ هَذِهِ الأَراضي القاسِيَةِ يَكونُ البَقاءُ دائِماً لِلأَصْلَحِ فَقَطْ ؛ إذْ مِنَ الصَّعْبِ الشُّعورُ بِمِثْلِ تِلْكَ الأَحاسيسِ المُعْتادَةِ كَالوَلاءِ مَثَلاً ، فَها هُوَ ذا سبيتز قَدْ

انْهزم وانْتهتْ فَتْرةُ زَعامَتِهِ في لحْظةٍ ، بلْ إنَّهُ الآنَ قَدْ أصْبحَ مُجرَّدَ فَريسَةٍ تُلْتَهَمُ عِنْدَ الجوعِ . وَكانَ بكْ يُراقِبُ في جَذَلٍ ذَلِكَ العِراكَ الأبْيضَ وَهُوَ يَتَخَضَّبُ بِاللَّوْنِ الأحْمَرِ ، تَحْتَ وَقْعِ الأنْيابِ الحادَّةِ لِمَجْموعَةِ كِلابِ الإسْكيمو .

تَوَقَّعَ بكْ بعْدَ انْتِصارِهِ أنْ يَحُلَّ محلَّ سبيتر بِصِفَتِهِ قائِدًا لِلْفَريقِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَشاطَ غَضبًا عِنْدَما وجدَ أنَّ فرانسوا قَدْ وَضَعَ سول – ليكس في هَذا المَنْصِبِ أَثْناءَ إعْدادِهِ الفَريقَ لِلرِّحْلَةِ التّالِيَةِ .

وَلَكِنَّ سول – ليكس كانَ يُدْرِكُ مَدى قُوَّةِ بَكْ ؛ لِذَلِكَ سُرْعانَ ما كانَ يُسْرِعُ بِالتَّخَلّي عَنِ القِيادَةِ وَهُوَ في سَعادَةٍ بالِغَةٍ حينَ يَقْتَرِبُ مِنْهُ بَكْ مُزَمْجِرًا ، وَلَكِنَّ فرانسوا كانَ مُصَمِّمًا على ألّا يَتَسَبَّبَ أحَدٌ مِنَ الكِلابِ في تَعْطيلِهِ ، فَلَوَّحَ لِبَكْ بِالهِراوَةِ مُحَذِّرًا ، فَتَراجَعَ الكَلْبُ مُتَذَكِّرًا مِحْنَتَهُ السّابِقَةَ مَعَ هَذا السِّلاحِ .

إلّا أنَّ بَكْ أصَرَّ عَلى رَفْضِ مَوْقِعِهِ السّابِقِ في الفَريقِ ، رَغْمَ أنَّ فرانسوا وَبيرو أمْضَيا ما يَقْرُبُ مِنَ السّاعَةِ في مُحاوَلَةِ الإمْساكِ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ نَجَحَ في أنْ يَظَلَّ بَعيدًا عَنِ المَنالِ .

وَفي النِّهايَةِ اضْطُرَّ الرَّجُلانِ إلى تَنْحِيَةِ سول – ليكس مِنْ مَوْقِعِ القِيادَةِ ؛ نَظَرًا لإلْحاحِ مُهِمَّتِهِمْ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُهُمْ تَرْكُ أفْضَلِ كَلْبٍ لَدَيْهِمْ ، إلّا أنَّ بكْ رَفَضَ أنْ يَعودَ ، إلى أنْ وَضَعَ فرانسوا هِراوَتَهُ جانِبًا ثُمَّ سَلَّمَهُ قِيادَةَ الفَريقِ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَدِ ارْتَسَمَتْ عَلى وَجْهِهِ أماراتُ البَهْجَةِ .

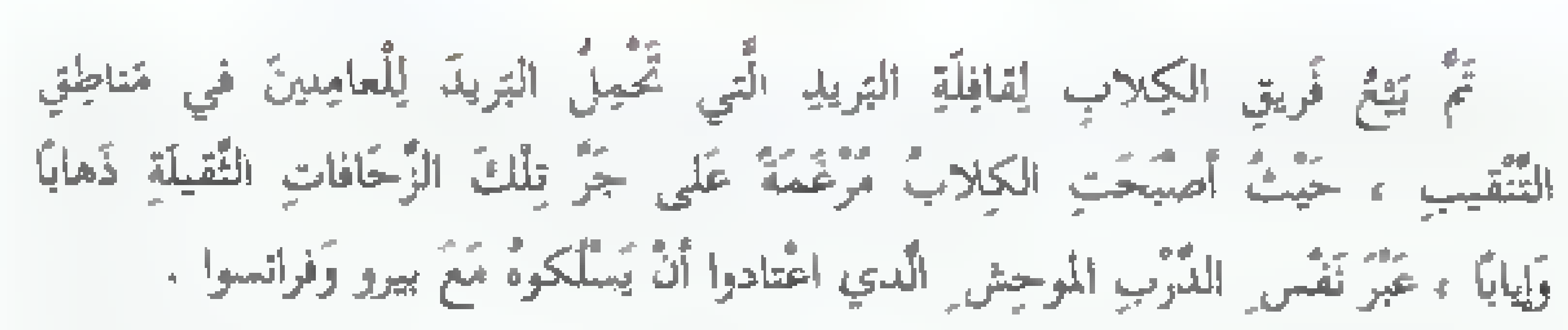


سرْعانَ ما أثْبتَ بَكْ أنّهُ جَديرٌ بِالمَنْصِبِ الّذي تَطلّعَ إليْهِ ، أمّا الكِلابُ الّتي دافعَ عَنْها ضِدَّ سبيتز فقدْ تبيّنتْ سريعاً أنّهُ لمْ يَعُدْ حاميَهُمْ كَما كانَ مِنْ قَبْلُ ؛ فَهُوَ لا يحْتَمِلُ أيَّ بادِرَةٍ للتّراخي في العَمَلِ ، وَأيُّ كَلْبٍ لا يُقَدِّمُ أقصى جَهْدٍ في عَمَلِهِ يتِمُّ عقابُهُ فوْراً . وهكذا أصْبَحَ الفَريقُ يَعْمَلُ كَوَحْدَةٍ واحِدَةٍ فَعّالَةٍ مَرَّةً أخْرى ، وَقطعَتِ الكِلابُ الرِّحْلَةَ في زَمَنٍ قِياسيٍّ تحْتَ قِيادَةِ زَعيمِ الفَريقِ الجَديدِ الحازِمِ .

اجْتاحَ السُّرورُ بيرو وَفرانسوا ، إلّا أنّهُما لَمْ يسْتَمْتِعا طَويلاً بِذلكَ الّذي صَنَعَهُ بَكْ في الفَريقِ ؛ إذْ سرْعانَ ما اسْتَدْعَتْهُما الحُكومَةُ الكَنَدِيَّةُ ، وَاضْطُرّا وَهُما في شِدَّةِ الأَسَفِ إلى أنْ يَبيعا كِلابَهُما .

وَما إنْ حانَتْ لَحْظَةُ الفِراقِ حَتّى بَدا الاكْتِئابُ عَلى فرانسوا بِصِفَةٍ خاصَّةٍ ، وَإذا بِهذا الرَّجُلِ الصّامِتِ ، في غَمْرَةِ لَحْظَةِ انْفِعالٍ نادِرَةٍ يُلْقي بِذراعَيْهِ حَوْلَ عُنُقِ بَكْ ثُمَّ يحْتَضِنُ الكَلْبَ وَالدُّموعُ تَنْسابُ عَلى خَدَّيْهِ في صَمْتٍ .





تمَّ بَيْعُ فَرِيقِ الكِلابِ لِقافِلَةِ البَريدِ الَّتي تَحْمِلُ البَريدَ لِلْعامِلينَ في مَناطِقِ التَّنْقيبِ ، حَيْثُ أَصْبَحَتِ الكِلابُ مُرْغَمَةً عَلى جَرِّ تِلْكَ الزَّحافاتِ الثَّقيلَةِ ذَهابًا وَإِيابًا ، عَبْرَ نَفْسِ الدَّرْبِ المُوحِشِ الَّذي اعْتادوا أَنْ يَسْلُكوهُ مَعَ بيرو وَفرانسوا .

وَأَصْبَحَتْ فَتَراتُ الرّاحَةِ المَسْموحُ بِها بَيْنَ الرَّحَلاتِ أَقَلَّ مِمّا اعْتادَتْهُ الكِلابُ مِنْ قَبْلُ ؛ مِمّا أَدّى إِلى أَنْ تَفْقِدَ سَريعًا اسْتِمْتاعَها السّابِقَ بِالعَمَلِ ، إِلّا أَنَّ بَكْ ظَلَّ مُصِرًّا عَلى بَذْلِ الجُهْدِ الكامِلِ في قِيادَةِ الفَريقِ اسْتِنادًا إِلى الفَخْرِ الَّذي حَصَلَ عَلَيْهِ في عَمَلِهِ ، وَهُوَ نَفْسُ الفَخْرِ الَّذي أَدّى إِلى التَّحَوُّلِ المَلْحوظِ الَّذي حَدَثَ عِنْدَ داف وَسول - ليكس .

وَمَضى بَعْضُ الوَقْتِ عَلى قِيادَةِ هَذِهِ الكائِناتِ الَّتي أُنْهِكَتْ وَأَصابَها المَلَلُ ، فَبَدَأَتْ حالَةُ الكِلابِ تَتَدَهْوَرُ سَريعًا ، وَباتَ مِنَ الواضِحِ انْهِيارُ لِياقَتِها ، بِالرَّغْمِ مِنْ



كُلِّ الجُهودِ الَّتي كانَ يَبْذُلُها رِجالُ البَريدِ لِلْعِنايَةِ بِها في نِهايَةِ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيّامِ رِحْلَةِ العَذابِ .

كانَ داف أَسْوَأَ حالًا مِنْ أَقْرانِهِ في الفَريقِ ، وَسُرْعانَ ما اتَّضَحَ شِدَّةُ مَرَضِهِ ؛ إِذْ كُلَّما هَزَّتْهُ الزَّحّافَةُ عَلا صُراخُهُ ، ثُمَّ بَدَأَ يَسْقُطُ أَثْناءَ الرِّحْلَةِ مَعَ أَنَّ الرِّجالَ لَمْ يَجِدوا أَيَّ كُسورٍ بِعِظامِهِ . وَأَخيرًا عَزَلَهُ سائِقُ الزَّحّافَةِ عَنِ الفَريقِ تارِكًا إِيّاهُ يَجْري في المُؤَخِّرَةِ مِمّا أَدّى إِلى تَحَطُّمِ فُؤادِ ذَلِكَ الكَلْبِ المُخْلِصِ ؛ إِذْ كانَ عَمَلُهُ هُوَ كُلَّ ما يَحْيا مِنْ أَجْلِهِ ، وَلَمْ يَقْوَ عَلى رُؤْيَةِ كَلْبٍ آخَرَ يَشْغَلُ مَوْقِعَهُ في الفَريقِ ، فَقامَ بِمُحاوَلَةٍ بائِسَةٍ لِيَحُلَّ مَحَلَّ سول - ليكس الَّذي كانَ يَشْغَلُ أَقْرَبَ مَوْقِعٍ بِالنِّسْبَةِ لِلزَّحّافَةِ ، وَحينَ دُفِعَ بِهِ اكْتَفى بِالتَّعَثُّرِ عَلى جانِبِ الطَّريقِ .

وَعِنْدَما تَوَقَّفَ الفَريقُ ، بَدَأَ داف يَلوكُ حَبْلَ الجَرِّ ، فَتَحَرَّكَتِ الكِلابُ بَعْدَ ذَلِكَ



وَلكِنْ بِدونِ الزَّحَّافَةِ ، حَيْثُ ظَلَّ داف واقِفاً في مَوْقِعِهِ القَديمِ وَأمامَ العربة الثَابتة وهُوَ يَتَطَلَّعُ إلى السَّائِقِ بِنَظَراتٍ يُرْثَى لَها ، فَتأثَّرَ الرَّجُلُ بِمَظْهَرِهِ المُثيرِ للشَّفقة إلى حدِّ أنَّهُ أعادَ داف إلى مَوْقِعِهِ السَّابِقِ في الفَريقِ ، بِالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ لياقة الكَلْبِ لِلْعمَلِ . وَانْتاب داف فَرَحٌ عامِرٌ إزاءَ تَصْميم السَّائق على تجاهُلِ صرخاته اللاإرادِيَّةِ مِنَ الألمِ ، إلى جانِبِ تَعَثُّرِهِ المُسْتَمِرِّ .

وَلكِنْ في اليَوْمِ التَّالي لَمْ تَعُدْ شَهامَةُ داف تَكْفي لأنْ يتخطَّى ضَعْفَهُ الجُسْمانِيَّ ؛ إذْ أصْبَحَ لا يَقْوى حَتَّى عَلى النُّهوضِ عَلى قَدَمَيْهِ ، فَاسْتَلْقى على الأرْضِ وَهُوَ يَعْوي في أسًى، في حينَ كانَ الفَريقُ يَلوحُ أمامَ بَصَرِهِ ثُمَّ يَخْتَفي .

وَلَمْ يُسْمَحْ لِداف بِالمَزيدِ مِنَ المُعاناةِ ، فَعَطَفَ عَلَيْهِ سائِقُهُ مَرَّةً أُخْرى ، وَدَوَّتْ طَلْقَةٌ واحِدَةٌ كانَتْ كافِيَةً لأنْ تَمْنَحَ الرَّاحَةَ أخيراً لِهَذا الكَلْبِ المُحَطَّمِ . وَتَطَلَّعَتْ أقْرانُ داف أَيْضاً إلى الرَّاحَةِ مِنْ جَرَّاءِ اسْتِمْرارِها في المُعاناةِ المُضْنِيَةِ وَالإجْهادِ الَّذي حَلَّ

بها ، إلى حَدِّ أنَّها كانَتْ بِالكادِ تَضَعُ القَدَمَ أمامَ الأخْرى ؛ فَقَدْ قَطَعَتْ ما يَقْرُبُ مِنْ ألْفَيْنِ وَخَمْسِمائَةِ ميلٍ في أقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ أشْهُرٍ ، الأمْرُ الَّذي اسْتَنْفَدَ ما تَبَقَّى مِنْ قُواها .

وَما إنْ وَصَلوا إلى المَدينَةِ التَّالِيَةِ حَتَّى سُمِحَ لَها بِالرَّاحَةِ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ ، وَلكِنْ بِانْقِضاءِ تِلْكَ المُهْلَةِ انْقَضى أيُّ احْتِمالٍ لِعَوْدَتِها لِلْعَمَلِ في قافِلَةِ البَريد ، بَلْ إنَّ أكْثَرَ السَّائِقينَ تَفاؤُلاً لَمْ يَأمُلْ في إمْكانِيَّةِ عَوْدَتِها لِلعَمَلِ . وَهَكَذا تَمَّ بَيْعُ فَريقِ الكِلابِ مَرَّةً أخْرى

وَكانَ المُلاكُ الجُدُدُ مِنَ الأمْريكِيّينَ الَّذينَ وَفَدوا أيْضاً لِلْبَحْثِ عَنِ الذَّهَبِ ،

وَكانوا عَديمي الخِبْرَةِ تماماً بِطُرُقِ الشِّمالِ . وَكانوا مَجْموعَةً مُكَوَّنَةً مِنْ ثَلاثَةِ أَشْخاصٍ ، مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ في مُتَوَسِّطِ العُمْرِ يُدْعى « تشارلز » ، وَزَوْجَتُهُ « مرسيدس » وَهِيَ امْرَأَةٌ حالِمَةٌ ، غَيْرُ واقِعِيَّةٍ .

وَأَخيراً كانَ الثّالِثُ أخاها « هال » ، وَهُوَ شَخْصٌ مُتَغَطْرِسٌ وَقاسٍ وَبِلا خِبْرَةٍ ، يَحْمِلُ في خُيَلاءٍ مُسَدَّسًا ضَخْمًا وَسِكّينًا لِلصَّيْدِ فَوْقَ مَلابِسِهِ الجَديدَةِ ذاتِ الطّابَعِ الشِّماليِّ .

شعرَ بَكْ بِالكآبَةِ وهُوَ يتأمَّلُ وَضْعَهُ الجَديد ، بعْدَ أنْ لاحظَ في توجُّسٍ الجوَّ العامَّ الّذي يَدُلُّ على عَدَمِ الكفاءَةِ ؛ إذْ عِنْدما يَعْتَمِدُ رَجُلٌ وَكَلْبٌ كلاهُما على الآخرِ تماماً يَكونُ الهلاكُ مَصيرَ الكَلْبِ الّذي يتّصِفُ مالِكُهُ بالحُمْقِ ؛ لِذا فَقَدْ أَحْجَم بَكْ عَنْ أنْ يأتمِنَ هؤُلاءِ المُلّاكَ الجُدُدَ على حياتِهِ ، وتأكّدَتْ شُكوكُهُ تماماً حينَ بَدَءوا في شَحْنِ الزَّحّافَةِ ؛ إذْ لَمْ يتمكّنوا مِنْ طَيِّ خيْمَتِهِمْ كَما يجبُ ، وحمَلوا أطباقًا مُتّسِخَةً وَأَكْوامًا مِنَ المُتَعَلِّقاتِ المُتْرِبَةِ فوْقَ الزَّحّافَةِ ، وبِطَريقَةٍ لا تَمُتُّ بِأيِّ صِلَةٍ لِلْحُمولَةِ المُنَظَّمَةِ وَالسَّهْلَةِ التَّوْزيعِ الّتي اعْتادَها بَكْ .

كَذلِكَ لَمْ يتّفِقِ المُغامِرونَ الثَّلاثَةُ فيما بَيْنَهُم حَتّى حَوْلَ أُسْلوبِ وَضْعِ هذِهِ الأَصْنافِ العَديدَةِ الشَّكْلِ مِنْ مَلابِسِ مرسيدس ؛ مِمّا أتاحَ قَدْرًا لا بَأْسَ بِهِ مِنَ البَهْجَةِ لِلرِّجالِ القاطِنينَ في المُعَسْكَراتِ المُجاوِرَةِ .



وَأخيراً ، وَمِنْ مُنْطَلَقِ الشَّفَقَةِ بِالكِلابِ ، تَطَوَّعَ الرِّجالُ بِتَقْديمِ النَّصيحَةِ لِهؤُلاءِ القادِمينَ الجُدُدِ ، بِضَرورَةِ تَخْفيفِ أَحْمالِهِمْ وَإِعادَةِ تَوْزيعِها ، حَتّى تَتَمَكَّنَ الزَّحافَةُ مِنَ السَّيْرِ بِسُهولَةٍ . وَلَكِنَّ هال تَجاهَلَهُمْ ، وَبَدَأَ يُرْضي غُرورَهُ بِالصِّياحِ في الكِلابِ ، فَأَخَذَتْ تِلْكَ المَخْلوقاتُ البائِسَةُ تَقْفِزُ عَلى أَقْدامِها ، بِالرَّغْمِ مِمّا هِيَ فيهِ مِنْ إِجْهادٍ وَضَغْطٍ بِسَبَبِ أَحْزِمَةِ الصَّدْرِ .

وَراحَتْ تُحاوِلُ في يَأْسٍ تَحْريكَ هَذا الحَجْمِ الضَّخْمِ غَيْرِ المُنَظَّمِ الَّذي يَجْثُمُ فَوْقَ كَواهِلِها ، وَلَكِنَّ مَجْهوداتِها ضاعَتْ سُدًى ؛ إِذْ لَمْ تَتَحَرَّكِ الزَّحافَةُ ، وَاسْتَشاطَ هال غَضَباً أَمامَ هَذا الدَّليلِ المُدَمِّغِ عَلى عَجْزِهِ . وَبَدَلاً مِنْ مُحاوَلَةِ إِصْلاحِ المَوْقِفِ راحَ يَضْرِبُ الكِلابَ وَيَجْلِدُها بِسَوْطٍ كَبيرٍ ، فَتَدَخَّلَتْ مرسيدس وَهِيَ تَبْكي قائِلَةً :

« كَفى ، يا هال ! يَجِبُ أَلّا تَفْعَلَ ذَلِكَ مَعَ الكِلابِ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَعِدَني أَلّا تَكونَ عَنيفاً مَعَها ، وَإِلّا فَلَنْ أُكْمِلَ الرِّحْلَةَ . »

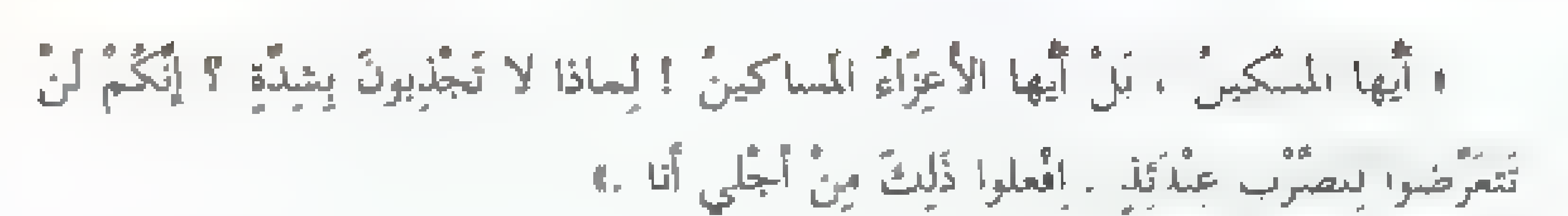
أجابَها أخوها قائلاً :

« اُتْرُكيني وَشَأْني ! فَأَنْتِ لا تَعْرِفينَ شَيْئاً عَنِ الكِلابِ . يَجِبُ أَنْ تُضْرَبَ لأَنَّها كَسْلى ، سَلي هؤُلاءِ الرِّجالَ فَعَلى ما يَبْدو أَنَّهُمْ يَعْلَمونَ الكَثيرَ . »

رَمَقَتْ مرسيدس الرِّجالَ في تَوَسُّلٍ ، فَاسْتَدارَ العَديدُ مِنْهُمْ مُتَعَمِّدينَ في اشْمِئْزازٍ ، وَأَخيراً قالَ أَحَدُ الرِّجالِ : « هَذِهِ الكِلابُ لَيْسَتْ كَسْلى ، إِنَّها مُجْهَدَةٌ . وَما تَحْتاجُ إِلَيْهِ فِعْلاً هُوَ الرّاحَةُ لا الضَّرْبُ . »

وَلَكِنَّ هال لَمْ يَتَرَدَّدْ في ضَرْبِ الكِلابِ مَرَّةً أُخْرى وَبِقَسْوَةٍ أَشَدَّ ؛ مِمّا آلَمَ مرسيدس فَحاوَلَتْ أَنْ تُغْرِيَ الكِلابَ بِالتَّحَرُّكِ مُسْتَخْدِمَةً حيلَتَها المُحَبَّبَةَ (البُكاءَ) ؛ إِذْ كانَتْ تَعْرِفُ أَنَّ الرِّجالَ لا يُمْكِنُهُمْ مُقاوَمَةُ دُموعِها ؛ فَلْتُحاوِلْ مَعَ الكِلابِ ، وَلَكِنْ يَبْدو أَنَّ الكِلابَ كانَتْ أَقَلَّ اسْتِجابَةً حينَ أَلْقَتْ بِذِراعَيْها حَوْلَ عُنُقِهِ وَهِيَ تَقولُ لَهُ في نَبَراتٍ شَجِيَّةٍ :





« أيها المسكين ، بَلْ أيها الأعِزّاءُ المساكينُ ! لِماذا لا تَجْذِبونَ بِشِدّةٍ ؟ إنّكُمْ لَنْ تتعرّضوا لِضَرْب عِنْدَئِذٍ . اِفْعلوا ذلِكَ مِنْ أجْلي أنا . »

زمّ مُرْشِدُ المجْموعة شَفَتيْهِ في غَضَبٍ شَديدٍ مِنْ قَسْوَةِ هال ، وَقَبْلَ أنْ يَتْرُكَهُمْ قالَ لَهُ وَهُوَ في سَوْرَةِ الغَضَبِ :

« لا يَعْنيني ما يَحْدُثُ لَكَ ، وَلكِنْ لِصالِحِ الكِلابِ أقولُ لَكَ هَذا . إنّكَ سَتُساعِدُها كَثيرًا لَوْ أقْلَتَّ هذِهِ الزَّحّافَةَ ، مِنَ الثَّلْجِ ؛ فَزَلّاقاتُها تَتَجَمَّدُ بِسُرْعَةٍ . ألْقِ بِنَفْسِكَ عِنْدَ قائِمَةِ العَرَبَةِ في اتِّجاهِ اليَمينِ ثُمَّ في اتِّجاهِ اليَسارِ ؛ حَتّى تَلينَ الزَّحّافَةُ وَيُمْكِنُها التَّحَرُّكُ . »



أذْعَنَ هال أخيرًا لِهَذِهِ النَّصيحَةِ ، وَبَدأتِ الزَّحّافَةُ تَتَحَرَّكُ ، إلّا أنَّ هَذا التَّقَدُّم لِلأسَف لَمْ يَسْتَمِرَّ ؛ إذْ تَأرْجَحت الحُمولَةُ الثَّقيلَةُ العُلْوِيَّةُ عِنْدَ أوّل مُنْعطَفٍ وَتَبَعْثَرَت الأشْياءُ العَديدَةُ فَوْقَ الطَّريقِ .

اِبْتَهَجَتِ الكِلابُ بِهَذا التَّخْفيفِ المُفاجِئِ لِلْحُمولَةِ وَهاجَتْ وَماجَتْ في انْدِفاعٍ ، مُتَجاهِلَةً تمامًا صرخات هال . وما لَبث هذا التَّدافُعَ أنْ طرح هال أرْضًا ، وانْزَلَقت الزَّحّافَةُ فَوْق جسده ، ثُمَّ قفزتِ الكِلابُ إلى الطَّريقِ وَهِيَ تَعْدو .

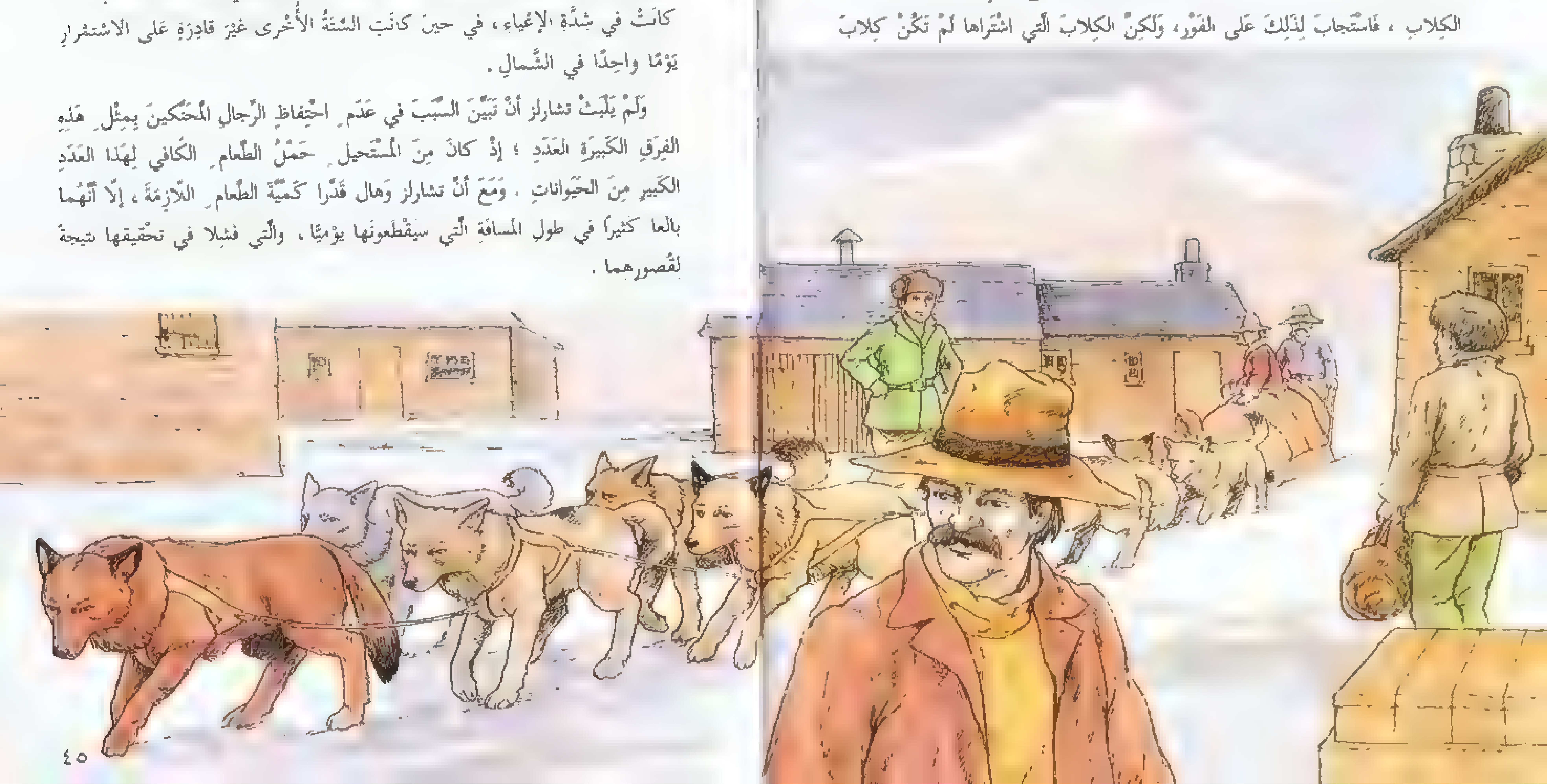
وَأخيرًا أمْكَنَ الإمْساكُ بِالكِلابِ ، وَنَصَحَ هذا الثُّلاثِيُّ المَنْكودُ بِضَرورة تَخْفيف الحُمولَةِ ، خُصوصًا وَأنَّ مِثْلَ هَذا النَّوْعِ مِنَ الرَّفاهِيَةِ كَالمُعَلَّباتِ الغِذائِيَّة قَد انْكَشف

أمْرَهُ لِلملأ ، فَبدأتْ مرسيدس في البُكاءِ مَرّةً أخْرى ، وَأخذَتْ تنوحُ على كُلِّ قِطْعَةٍ يَتِمُّ التّخَلُّصُ مِنْها . وَعِنْدَما تَبيّنَتْ أنَّ ذلك غيرُ مُؤثِّرٍ بَدأتْ تُزيلُ حَتّى الأساسِيّاتِ الضّروريّةَ .

وَبَعْدَ كَثيرٍ مِنَ المجادَلاتِ وَإعادَةِ التّنْظيمِ بَدأتِ الحُمولَةُ تَأخُذُ تَدْريجيًّا شَكْلَ المعَدّاتِ الطّبيعيّةِ ، وَإنْ كانَتْ لا تَزالُ ضَخْمَةً . وَنَصحَ تشارلز بِشراءِ المزيدِ مِنَ الكِلابِ ، فَاسْتَجابَ لِذلِكَ عَلى الفَوْرِ، وَلكِنَّ الكِلابَ الّتي اشْتَراها لَمْ تَكُنْ كِلابَ الإسْكيمو الأصْلِيّةَ أوْ حَتّى كِلابًا قَوِيّةً مِثْلَ بكْ ؛ لِذا كانَتْ بِلا فائِدةٍ ؛ إذْ إنَّ خمْسَةَ كِلابٍ مِنَ السّتّةِ لَمْ يَكُنْ صُوفُها طَويلًا لِيَقيها الرِّياحَ البارِدَةَ ، إلى جانِبِ أنَّها جَميعًا كانَتْ في حالَةٍ مِنَ اليَأْسِ وَعَدَمِ القُدْرَة عَلى التّكيُّفِ مَعَ ظُروفِها الجديدَةِ .

وما إنْ تَمكّنَ هَذا الثُّلاثيُّ السّيّئُ التّنْظيم مِن الانْطِلاقِ حتّى بدَأ تشارلز يشْعُرُ بِزَهْوٍ مُفْرِطٍ بِكِلابه الأرْبَعَةَ عشَرَ ، رَغْمَ حَقيقَةِ الموْقِفِ وهِيَ أنّ ثَمانِيَةَ كِلابٍ مِنْها كانَتْ في شِدَّةِ الإعْياءِ ، في حينَ كانَتِ السّتّةُ الأُخْرى غيْرَ قادِرَةٍ عَلى الاسْتِمْرارِ يَوْمًا واحِدًا في الشّمالِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ تشارلز أنْ تَبيّنَ السّبَبَ في عَدَمِ احْتِفاظِ الرِّجالِ المحَنّكينَ بِمِثْلِ هَذهِ الفِرَقِ الكَبيرَةِ العَدَدِ ؛ إذْ كانَ مِنَ المسْتَحيلِ حَمْلُ الطّعامِ الكافي لِهَذا العَدَدِ الكَبيرِ مِنَ الحَيَوانات . وَمَعَ أنَّ تشارلز وَهال قَدّرا كَمّيّةَ الطّعامِ اللّازِمَةَ ، إلّا أنّهما بالَغا كَثيرًا في طولِ المسافَةِ الّتي سيَقْطَعونَها يوْميًّا ، والّتي فشِلا في تحْقيقِها نَتيجةً لِقُصورِهما .





وَلَمْ تَلْبَثِ المُؤَنُ الغِذائِيَّةُ الضَّئِيلَةُ أَنْ نَفِدَتْ نَتيجَةً لِسوءِ التَّنْظيمِ ؛ إِذْ كانَتِ الكِلابُ السِّتَّةُ الجَديدَةُ جَوْعى عَلى الدَّوامِ ، شَأْنُها شَأْنَ بَكْ حينَ وَصَلَ إِلى الشَّمالِ ، إِلّا أَنَّها عَلى العَكْسِ مِنْهُ لَمْ تَتَأَقْلَمْ جَيِّدًا مَعَ حَياتِها الجَديدَةِ ، وَاضْطُرَّ هال إِلى إِطْعامِها ضِعْفَ المُقَرَّراتِ . وَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ يُطْعِمُ الكِلابَ كُلَّها مَزيدًا مِنَ الطَّعامِ ؛ لأَنَّ قُدْرَةَ كِلابِ الإِسْكيمو المُجْهَدَةِ عَلى الجَرِّ كانَتْ تَضْعُفُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، مَعَ أَنَّها كانَتْ في واقِعِ الأَمْرِ تَشْتَهي الرّاحَةَ لا الطَّعامَ .

وَقَدْ لَعِبَتْ مرسيدس دَوْرًا في سُرْعَةِ نَفادِ المَخْزونِ الضَّئيلِ ، مِنْ خِلالِ قِيامِها بِاخْتِلاسِ الطَّعامِ لِلْكِلابِ في مُحاوَلَةٍ يائِسَةٍ مِنْها لإِظْهارِ الحَنانِ ، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى أَصْبَحَتِ الكِلابُ في عُسْرٍ شَديدٍ .

وَما إِنِ اكْتَشَفَ هال مَدى قِلَّةِ الطَّعامِ المُتَبَقّي حَتّى بَدَأَ يُطْعِمُ الكِلابَ نِصْفَ المُقَرَّراتِ الغِذائِيَّةِ ، في الوَقْتِ الَّذي كانَ يَحُثُّهُمْ عَلى الإِسْراعِ في الخُطى .

وَقَدْ بَدا هَذا الأَمْرُ مُسْتَحيلاً ؛ لأَنَّ الفَريقَ الأَصْلِيَّ كانَ يُناضِلُ في مَشَقَّةٍ في كُلِّ يَوْمٍ نَتيجَةً لِتَحَمُّلِهِ وَحْدَهُ مَسْئولِيَّةَ الإِسْراعِ ، عِلاوَةً عَلى أَنَّ المالِكينَ الجُدُدَ لَمْ يَكونوا عَلى قَدْرٍ كَبيرٍ مِنَ الكَفاءَةِ ؛ حَيْثُ إِنَّهُمْ نادِرًا ما كانوا يُغادِرونَ المُعَسْكَرَ قَبْلَ انْتِصافِ النَّهارِ أَوِ انْقِضائِهِ؛ مِمّا أَدّى إِلى تَقَلُّصِ يَوْمِ العَمَلِ إِلى مُجَرَّدِ سُوَيْعاتٍ قَليلَةٍ مِنَ الانْدِفاعِ غَيْرِ الفَعّالِ ، شَأْنُ الكِلابِ فيها مِنَ الإِجْهادِ شَأْنُ أَيِّ يَوْمٍ كامِلٍ مِنْ أَيّامِ الجَرِّ العادِيَّةِ . وَقَدْ بَدَأَتِ العَلاقَةُ تَزْدادُ تَفَكُّكًا بَيْنَ أَفْرادِ العائِلَةِ الثَّلاثَةِ ، وَتَلاشى مِنْ جَرّاءِ ذَلِكَ أَيُّ صورَةٍ لِلتَّنْظيمِ ، حَتّى إِنَّ الجِدالَ بَدَأَ يَحْتَدِمُ بَيْنَهُمْ لأَبْسَطِ المَهامِّ .

وَكانَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُما مُقْتَنِعًا بِأَنَّهُ أَدّى العَمَلَ الَّذي يَفوقُ طاقَتَهُ ، أَمّا مرسيدس فَكانَتْ لا تَفْعَلُ شَيْئًا سِوى قِيامِها بِدَوْرِ الأُنْثى الضَّعيفَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ لَدَيْها مِنَ الوَقْتِ ما يَسْمَحُ لَها بِالْبُكاءِ عَلى الكِلابِ .

وَأَصْبَحَتْ كُلُّ دُموعِها مُكَرَّسَةً لِشَخْصِها هِيَ فَقَطْ ، وَقَدْ أَبْدى تشارلز وَهال نَحْوَها شَيْئًا مِنَ الحُنُوِّ ، وَلَكِنَّ هَذا الأَمْرَ جَعَلَها تَظَلُّ أَقَلَّ تَعاوُنًا مَعَهُما ، بَلْ إِنَّها



أصرّتْ على أنْ تمتطي الزّحافة المكدّسة بالرّغم من سُهولة السّيْرِ على الممرّ ؛ مِمّا أدّى إلى تعثُّر الكِلاب وانفلاتها من حَبْلِ الجرّ تحتَ وقْعِ هذا الثّقْلِ الإضافيّ .

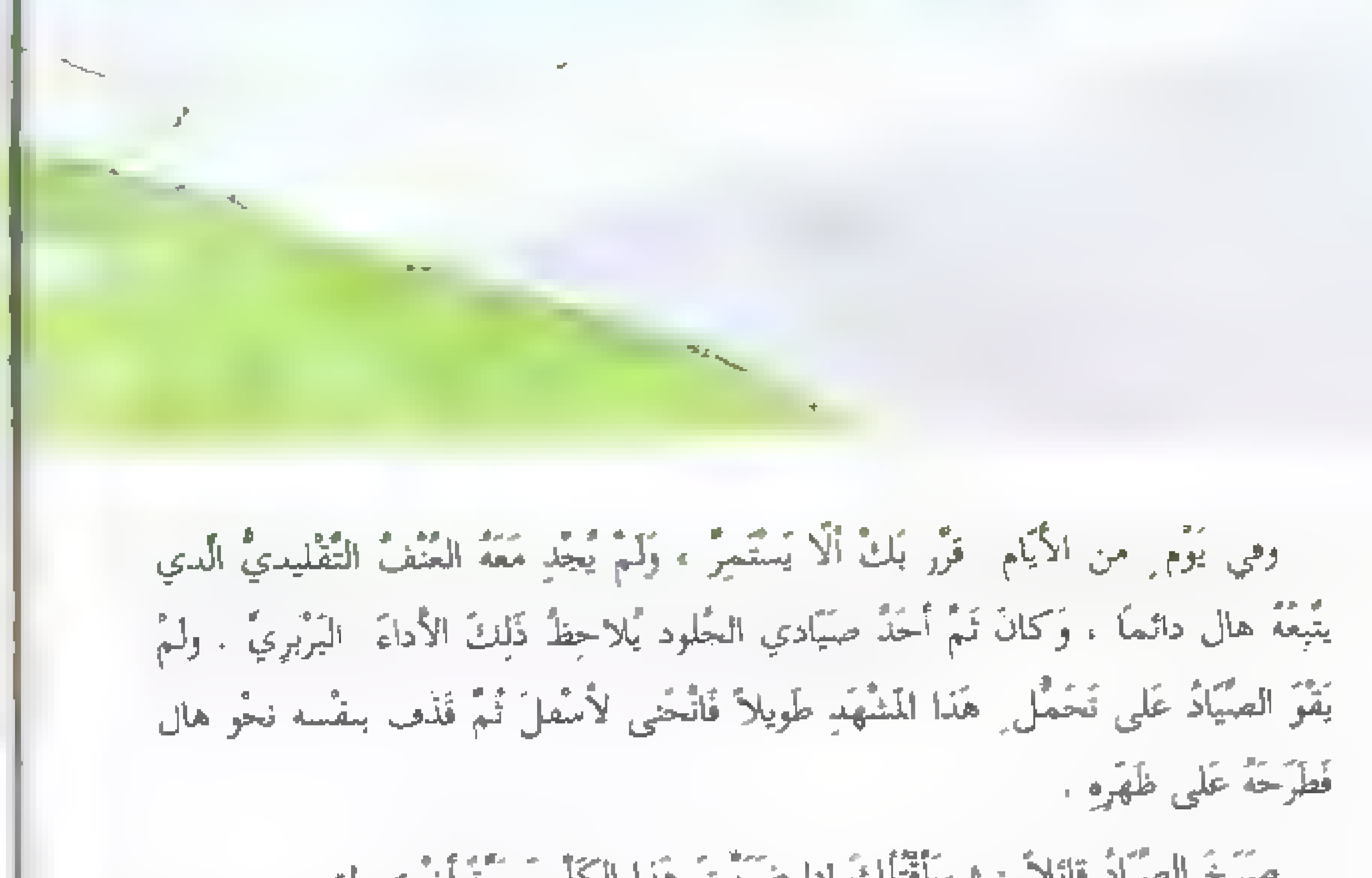
وفي أحَدِ الأيّامِ قرّر تشارلز وهال إنزالها بعلْظةٍ وفظاظةٍ ، وإذا بِها تجلسُ فوقَ الجليدِ وترفضُ التّحرّكَ تماماً إلى أن اضطرّ الرّحّالانِ إلى إعادتها لعرْشها .

بدأت الكلابُ تهنُ ثُمّ تموتُ تحْت نير الحرْمان القاسي أمّا الكلابُ السّتّةُ الجُدُدُ فقدْ كافحتْ بِضعةَ أيّامٍ بعْدَ اختِصار مُقرّراتِها الغِذائيّةِ ، بالإضافةِ إلى أنّ الإصاباتِ القَديمةَ الّتي أُهْمِلَ عِلاجُها قَدْ أصبَحَتْ مِنَ المُعوّقاتِ الخَطيرة ؛ إذْ لمْ



تعُدْ تِلْكَ الحيَوانات البائِسَةُ تمْلِكُ مِنَ القُوّةِ ما يسْمحُ لها بالتّغلّب على تلْك المعوّقاتِ ، وقَدْ تَمّ القَضاءُ على عَدَدٍ مِنَ الكِلابِ حينَ فاقَتْ مُعاناتُها حَدّ الاحْتِمال .

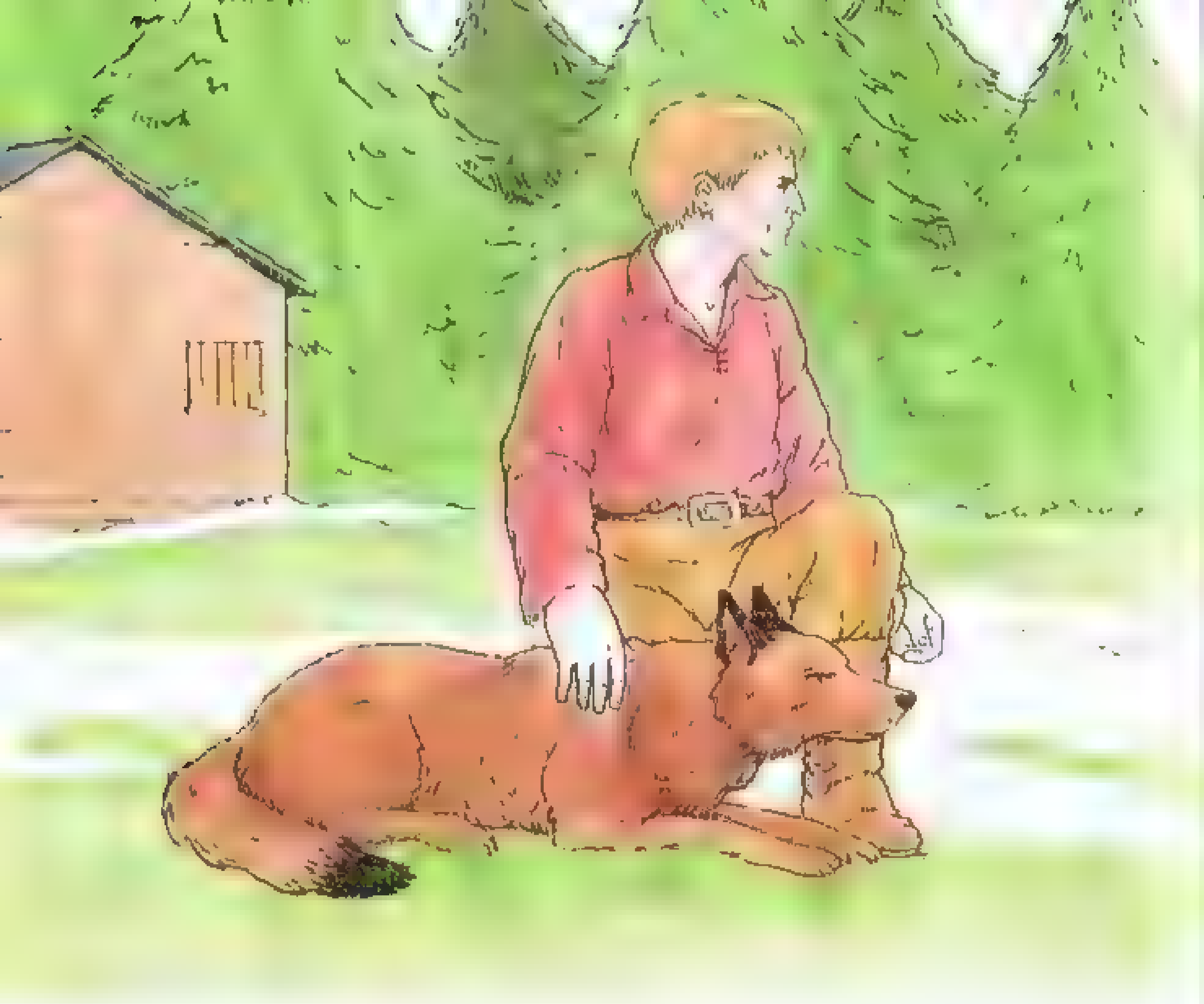
تزايَدَ عُنْفُ هال مَعَ ازْدِيادِ يأسِهِ ، إلّا أنّ الكِلابَ أصبَحَتْ لا تَكادُ تَشْعُرُ بِقَسْوَةِ سوْطه ؛ فهي تَتَحرّكُ كَالآلاتِ وبِلا أدْنى اهْتِمامٍ ، وقَدْ غَلَبَها الإرْهاقُ . وكانَ النّظامُ من الأشْياء الّتي ولّتْ وانتهى أمْرُها ؛ إذْ أصبَحَ بَكْ لا يَهتَمّ إذا كانَ أعْضاءُ فريقه يعْملون أوْ لا ؛ فهْو فقطْ يسيرُ مترنّحا إلى أنْ يسْقُط من حبْل الجرّ ويرْقد بلا حراكٍ انتظاراً لضربات هال الشّرّيرة ، الّتي تتساقطُ على جسده المُنْهك ، في مُحاولةٍ يائسةٍ لبثّ شيْءٍ من الحيويّة لهذا الجسد



وفي يَوْمٍ من الأيّام قرّر بَكْ ألّا يَستَمِرّ ، ولَمْ يُجِدْ مَعَهُ العُنفُ التّقليديُّ الذي يتبَعُهُ هال دائماً ، وكانَ ثَمّ أَحَدُ صيّادي الجُلود يُلاحِظُ ذَلِكَ الأداءَ البَرْبريّ . ولَمْ يَقْوَ الصيّادُ على تَحَمُّلِ هَذا المَشْهَدِ طَويلاً فانْحَنى لأسْفل ثُمّ قَذف بنفْسه نحْو هال فطَرَحَهُ على ظَهرِه .

صَرَخَ الصيّادُ قائلاً : « سأقْتُلُكَ إذا ضَرَبْتَ هَذا الكَلْبَ مَرّةً أُخْرى ! »

قالَ هال مُزَمْجِراً وَهُوَ يَمْسَحُ الدّماءَ مِنْ فَمِهِ : « إنّهُ كَلْبي ! ابْتَعِدْ عَنْ طَريقي وإلّا عاقَبْتُكَ ! »



ولَكِنّ الصيّادَ لَمْ يَتَحَرّكْ ، بَلِ استَمَرّ مُدافِعاً عَنْ بَكْ ، فَتَزايَدَ حَنَقُ هال إلى حَدّ أنّهُ استَلّ سِكّينَهُ الطّويلَةَ الّتي يَستَخْدِمُها لِلصّيْدِ ، فانْتابَتْ مرسيدس في الحالِ حالَةٌ هيستيريّةٌ ، وَلَكِنّ الصيّادَ ضَرَبَ مَفْصِلَ يَدِ هال في هُدوءٍ بِعَصًا يَحْمِلُها ، فَجَرّدَهُ مِنْ سِلاحِهِ قَبْلَ أنْ يَخْطُوَ خُطْوَةً واحِدَةً .

سلّم هال بالهزيمة وتنازل للصيّاد عنْ بكْ ، ثُمّ أنْهض كلابَهُ الأرْبعة الباقيةَ وأخذ يُجاهِدُ في التّقَدّمِ صَوْبَ النّهْرِ ، مُتَجاهِلاً تَحْذيراتِ الصيّادِ مِنْ خُطورَةِ عُبوره

رَفَعَ بَكْ رَأْسَهُ مُتابِعاً بِبَصَرِهِ الزّحّافَةَ أثْناءَ مُرورِها أمامَهُ وَهِيَ تَتَمايَلُ عَلى الجَليدِ ،

وَإذا بِصرْخةٍ تَنْطَلِقُ فَجْأةً مِنْ مرسيدس ، ثُمَّ اخْتَفَتْ هِيَ وَالزَّحّافَةُ عَنِ البَصَرِ ؛ إذْ تَصَدَّعَ الجَلِيدُ تَحْتَهُمْ ، ثُمَّ امْتَدَّ الشَّقُّ سَريعًا ، وَفي لَحَظاتٍ مَعْدوداتٍ كانَتِ الكِلابُ قَدِ اخْتَفَتْ وَاخْتَفى مَعَها كُلُّ ما هُوَ آدَمِيٌّ داخِلَ أغْوارِ النَّهْرِ السَّحيقَةِ ، وَلَمْ يَعودوا إلى السَّطْحِ مَرَّةً أخْرى .

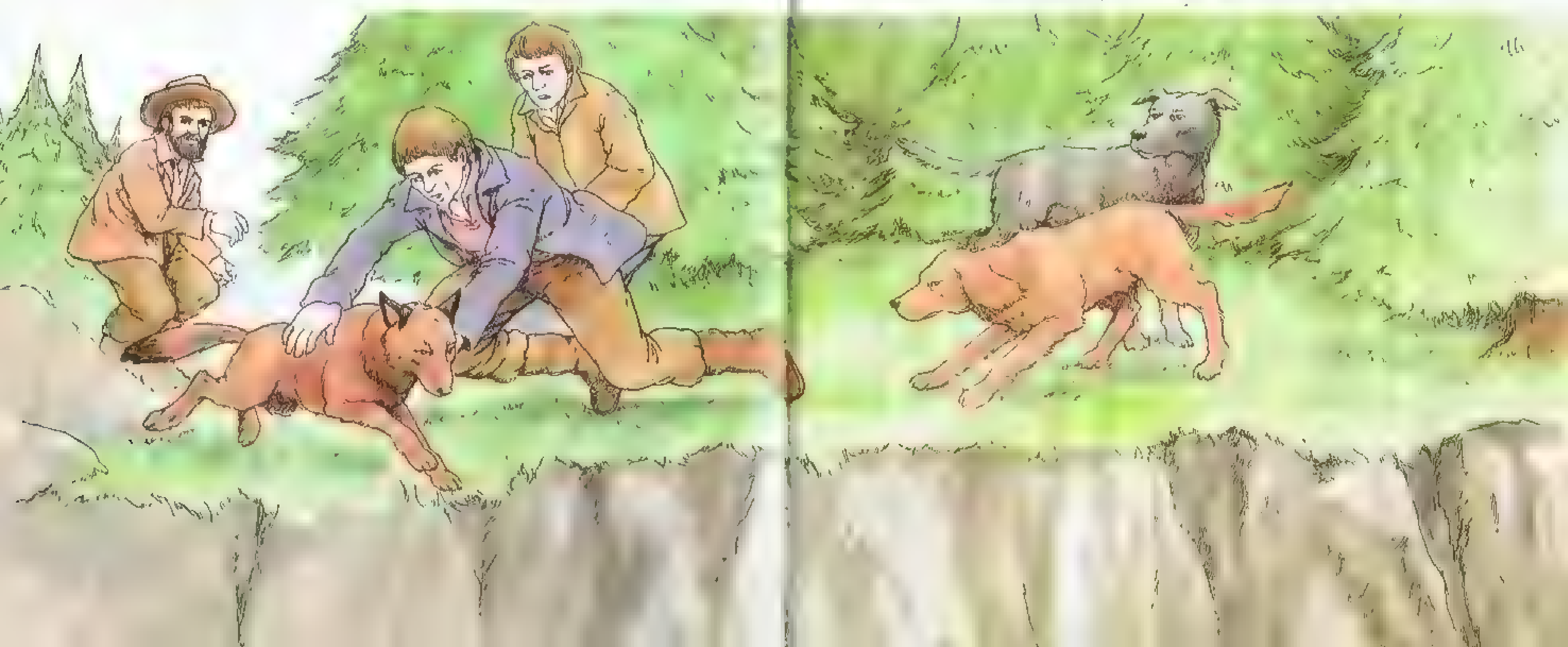
نَظَرَ بَكْ وَالصَّيّادُ إلى بَعْضِهِما وَقَدْ خَيَّمَ عَلَيْهِما صَمْتٌ مُطْبِقٌ . وَأخيرًا لَعِقَ بَكْ يَدَ الرَّجُلِ في امْتِنانٍ ، فَقالَ الرَّجُلُ : « أيُّها الشَّيْطانُ المِسْكينُ ! »

وَكانَ الصَّيّادُ جون ثورنتون قَدْ تَرَكَهُ أقْرانُهُ بِجانِبِ النَّهْرِ بعْدَ أنْ أعَدّوا لَهُ وسائلَ الرّاحة اللّازمة ، نظرًا لتوقُّف أقْدامه عنِ الحركَةِ مِنْ جرّاء إصابته بعضّة الجليد ، وَكانَ جالِسًا في انْتِظارِ عَوْدَتِهِمْ بِالقارِبِ بَعْدَ أنِ اسْتَعادَ قُوَّتَهُ إلى حَدٍّ كَبيرٍ .

وَقَدْ رَحَّبَ بَكْ أيْضًا بِباقي المَجْموعَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا سِوى الاسْتِلْقاءِ وَالرّاحَةِ تَحوطُهُ رِعايَةُ وَحَنانُ ثورنتون ، حَتّى اسْتَرَدَّ قُواهُ بَعْدَ تِلْكَ الشُّهورِ مِنَ الكَدِّ وَالحِرْمانِ .

وَلَمْ يَكُنْ وَضْعُ بَكْ يَسْمَحُ لَهُ بِالاسْتِياءِ مِنْ تَقَدُّمِ كَلْبَيْ ثورنتون الآخرَيْنِ « سكيت » و« نيغ » ، وممّا أثار دهْشتَهُ أنّهُما لَمْ يُناصِباهُ أيَّ عَداءٍ ، بَلْ تَقَبَّلا وُجودَهُ بيْنَهُما وأخَذا يَلْعَقانِ جِراحَهُ بِلِسانَيْهِما الشّافِيَيْنِ .

وَسُرْعانَ ما بَدَأ بَكْ يُحِبُّ مالِكَهُ الجَديدَ كَما لَمْ يُحِبَّ رَجُلًا مِنْ قَبْلُ ، وَرَغْمَ أنَّهُ



لَمْ يَكُنْ يَسْعى لِجَذْبِ الاهْتِمامِ إلاّ أنّهُ كانَ يَتَلَهَّفُ على كُلِّ لَمْسَةٍ أوْ كَلِمَةٍ يَقولُها لَهُ ثورنتون . وَقَدْ أحَسَّ ثورنتون بِنُمُوِّ الرَّوابِطِ بَيْنَهُما ، وَانْتابَهُ شُعورٌ بِأنَّ الكَلْبَ مُسْتَعِدٌّ لأنْ يَفْديَهُ بِحَياتِهِ ، رَغْمَ أنَّ بَكْ ظَلَّ بِمَعْزِلٍ عَنِ الرِّجالِ الآخَرينَ .

إلاّ أنَّ ثورنتون لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ مَدى عُمْقِ إخْلاصِ بَكْ إلى أنْ حَدَثَ أنْ أمَرَهُ ، عَلى سَبيلِ المُزاحِ ، أثْناءَ الجُلوسِ لِمُراقَبَةِ تَدَفُّقِ النَّهْرِ ، أنْ يَقْفِزَ فَوْقَ أحَدِ الجُروفِ الصَّخْرِيَّةِ . وَانْتابَهُ الفَزَعُ الشَّديدُ حينَ أطاعَ الكَلْبُ الأمْرَ فَوْراً ، وَ وَجَدَ ثورنتون نَفْسَهُ يَتَشَبَّثُ بِحافَةِ الجُرْفِ مُحاوِلاً في يَأْسٍ أنْ يَمْنَعَ بَكْ مِنْ إلْقاءِ نَفْسِهِ إلى الهاوِيَةِ ، وَقَدِ اسْتَوْعَبَ ثورنتون هَذا الدَّرْسَ تَماماً ، وَلَمْ يَعُدْ يُصْدِرُ بَعْدَ ذَلِكَ أمْراً عَلى سَبيلِ المُزاحِ

ما إنْ عادَ زُمَلاءُ ثورنتون حَتّى رَكِبَتِ المَجْموعَةُ بِأكْمَلِها القارِبَ مُتَوَجِّهينَ إلى مَقَرِّ الأعْمالِ الصَّيْفِيَّةِ في مَصانِعِ نَشْرِ الخَشَبِ ، وَسُرْعانَ ما أثْبَتَ بَكْ أنَّهُ قَدْ شُفِيَ تَماماً مِنْ مِحْنَتِهِ الأخيرَةِ ؛ حَيْثُ ساهَمَ بِجُهْدٍ لا بَأْسَ بِهِ في تَخْفيفِ العَمَلِ عَنْ كاهِلِ الرِّجالِ مِنْ خِلالِ المُساعَدَةِ في جَذْبِ الكُتَلِ الخَشَبِيَّةِ وَالمُؤَنِ .

وَاشْتُهِرَ وَلاءُ بَكْ لِثورنتون بَيْنَ عُمّالِ رَفْعِ الكُتَلِ الخَشَبِيَّةِ ، بَعْدَ أنْ حَدَثَ وَتَجَرَّأَ أحَدُ الرِّجالِ وَهاجَمَ ثورنتون في وُجودِ بَكْ ، وَكادَ الرَّجُلُ أنْ يَدْفَعَ حَياتَهُ ثَمَناً لِهَذا التَّهَوُّرِ ، في حينَ أصْبَحَ الكَلْبُ يُعامَلُ بَعْدَ ذَلِكَ في حِرْصٍ بالِغٍ .

كَذَلِكَ تَزايَدَ احْتِرامُ الرِّجالِ لِبَكْ حينَ قامَ بِإنْقاذِ ثورنتون بَعْدَ انْقِلابِ قارِبِهِ في الجُزْءِ الواسِعِ مِنْ مَجْرى النَّهْرِ ، وَكانَ بَكْ واقِفاً عَلى ضِفَّةِ النَّهْرِ يُتابِعُ في قَلَقٍ تَقَدُّمَ سَيِّدِهِ خِلالَهُ . وَفي اللَّحْظَةِ الَّتي تَعَرَّضَ فيها القارِبُ لِلْمَشاكِلِ أسْرَعَ بَكْ بِالقَفْزِ إلى النَّهْرِ الَّذي كانَ يَموجُ بِالدُّوّاماتِ ، وَخِلالَ بِضْعِ ثَوانٍ كانَ بَكْ إلى جِوارِ ثورنتون ؛ فَأمْسَكَ الرَّجُلُ بِذَيْلِ الكَلْبِ في اسْتِماتَةٍ ، وَلَكِنَّهُ عَجَزَ عَنْ مُقاوَمَةِ التَّيّارِ الَّذي ألْقى بِهِ بِلا هَوادَةٍ في اتِّجاهِ الشَّلاّلِ حَيْثُ الهَلاكُ المُحَقَّقُ .

وَاضْطُرَّ بَكْ إلى العَوْدَةِ لِضِفَّةِ النَّهْرِ خُضوعاً لإلْحاحِ ثورنتون فَقَطْ ، وَلَكِنْ ما إنْ قامَ أحَدُ الرِّجالِ بِرَبْطِ حَبْلٍ حَوْلَ أطْرافِ بَكْ الأمامِيَّةِ حَتّى أسْرَعَ بِالعَوْدَةِ إلى





النَّهْرِ ، وَأَلْقى بَكْ بِنَفْسِهِ في تَيّارِ النَّهْرِ الهائِجِ ، وَأَوْشَكَ على الغَرَقِ في المُحاوَلَةِ الثّالِثَةِ لَوْلا صَرَخاتُ سَيِّدِهِ الَّتي دَفَعَتْهُ لِلنِّضالِ مِنْ أَجْلِ الحَياةِ ، فَتَخَطّى المِحْنَةَ وَجَذَبَ ثورنتون الَّذي تَعَرَّضَ لِلَطَماتٍ شَديدَةٍ ، وَأَعادَهُ إِلى الشّاطِئِ .

سُرْعانَ ما ذاعَتْ أَنْباءُ بَكْ الباهِرَةُ . وَفي إِحْدى الأُمْسِيّاتِ واجَهَ ثورنتون تَحَدِّيًا لِإِثْباتِ أَنَّ الكَلْبَ بِالفِعْلِ غَيْرُ عادِيٍّ ، كَما يُشاعُ عَنْهُ ، وَأَنَّ هٰذِهِ القِصَصَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ أُسْطورَةٍ . وَكانَ ثورنتونَ يَشْعُرُ بِحَنَقٍ شَديدٍ مِنْ هٰذا الاسْتِخْفافِ بِكَلْبِهِ المُفَضَّلِ ، فَأَعْلَنَ أَنَّ بَكْ يَسْتَطيعُ أَنْ يَجْذِبَ حُمولَةً تَزِنُ أَكْثَرَ مِنْ ٤٥٠ كيلوغرامًا فَوْقَ زَحّافَةٍ قَدْ جَلِدَ حَوْلَها الثَّلْجُ . وَقَدْ قوبِلَ هٰذا الأَمْرُ بِاسْتِخْفافٍ واضِحٍ ، وَطُلِبَ

مِنْهُ إِثْباتُهُ فَوْرًا . وَفي الحالِ قامَ ثورنتون بِإِعْدادِ بَكْ بِجِهازِ الجَرِّ المُناسِبِ اسْتِعْدادًا لِجَرِّ تِلْكَ الحُمولَةِ الرَّهيبَةِ ، وَوَقَفَ المُتَفَرِّجونَ وَقَدْ حَبَسوا أَنْفاسَهُمْ أَثْناءَ إِصْدارِ ثورنتون لِأَوامِرِهِ .

أَلْقى بَكْ بِنَفْسِهِ نَحْوَ اليَمينِ ، ثُمَّ اليَسارِ لِيُحَطِّمَ الثَّلْجَ الَّذي يُحيطُ بِزَلّاقاتِ الزَّحّافَةِ . وَما إِنْ صَدَرَ أَمْرُ ثورنتون حَتّى قَذَفَ بِنَفْسِهِ لِلأَمامِ في مُواجَهَةِ الأَحْزِمَةِ الَّتي تُحيطُ بِصَدْرِهِ ، بِكُلِّ ما يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ . وَفي البِدايَةِ ظَلَّتِ الزَّحّافَةُ بِلا حَرَكَةٍ ، وَلٰكِنَّها بَدَأَتْ تَزْحَفُ لِلأَمامِ تَدْريجِيًّا ، ثُمَّ أَخَذَتْ تَجْري بَعْدَ ذٰلِكَ في سُهولَةٍ . وَشاعَ الهَرَجُ وَالمَرَجُ في أَرْجاءِ المُعَسْكَرِ ، إِذْ إِنَّ أَحَدًا لَمْ يَرَ مِثْلَ هٰذا



الكَلْبِ العَجيبِ مِنْ قَبْلُ ، وَإذا بِالجَميعِ يَعْرِضونَ شِراءَ بَكْ ، وَلكِنَّ ثورنتون تَجاهَلَ كُلَّ تِلْكَ العُروضِ ؛ فَقَدْ كانَ كُلُّ اهْتِمامِهِ مُوَجَّهًا إلى بَكْ . وَجَلَسَ إلى جِوارِ الكَلْبِ وَالدُّموعُ تَنْسابُ عَلى خَدَّيْهِ وَهُوَ يَهُزُّهُ لِلخَلْفِ وَلِلأَمامِ بِأُسْلوبِهِما المُعْتادِ لِلْمُداعَبَةِ مَعًا ؛ فَاسْتَجابَ بَكْ ، كَما كانَ يَفْعَلُ دائِمًا ، بِالْتِقاطِ كَفِّ الرَّجُلِ بَيْنَ أَسْنانِهِ وَالحُبُّ يُطِلُّ مِنْ عَيْنَيْهِ .

كانَ بَكْ يَشْعُرُ بِسَعادَةٍ غامِرَةٍ مَعَ ثورنتون ، وَلكِنْ في بَعْضِ الأَحْيانِ كانَ يَنْتابُهُ تَوَتُّرٌ طاغٍ ، وَتَجْتاحُهُ رَغَباتٌ غَريبَةٌ لأَنْ يَجوسَ خِلالَ الرِّيفِ المُتَرامي الأَطْرافِ . وَكانَ يَشْعُرُ بِالقَلَقِ خاصَّةً عِنْدَما يَسْمَعُ عُواءَ الذِّئابِ عَنْ بُعْدٍ ؛ لاشْتِياقِهِ إلى اللَّحاقِ بِها لِيَعيشَ حَياةً بَرِّيَّةً يَكونَ فيها حُرًّا كَما كانَ أَجْدادُهُ مِنْ قَبْلُ . وَبَدَأَ هَذا الدّافِعُ يَنْمو داخِلَهُ مُنْذُ أَنْ وَطِئَتْ أَقْدامُهُ أَرْضَ الشَّمالِ لأَوَّلِ مَرَّةٍ ، وَلكِنَّ حُبَّهُ لِثورنتون هُوَ

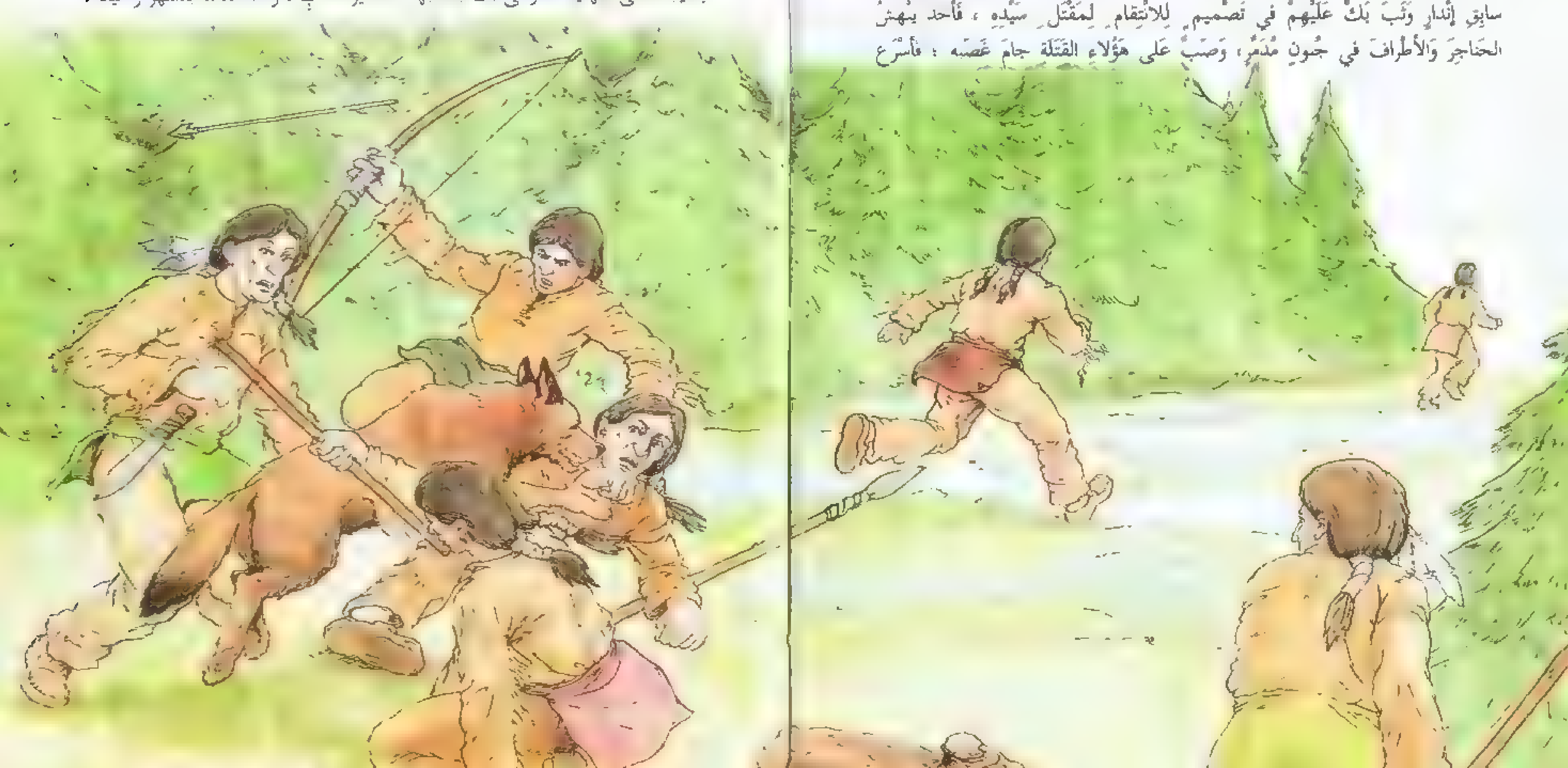
الَّذي كانَ يُبْقيهِ بِجانِبِ النّارِ وَالدِّفْءِ .

وَفي إحْدى اللَّيالي لَحِقَ بِالذِّئابِ فِعْلًا ؛ إذْ جَذَبَهُ نِداؤُها ، وَبَعْدَ أَنْ حَدَثَتْ بَعْضُ المُقَدِّماتِ العُدْوانِيَّةِ تَقَبَّلَتْ وُجودَهُ واحِدٌ مِنْها ، وَلَمْ يَمْكُثْ مَعَها في هَذِهِ المَرَّةِ طَويلًا ، وَلكِنَّهُ بَدَأَ يَتَرَدَّدُ عَلَيْها بَعْدَ ذَلِكَ مِرارًا وَبِانْتِظامٍ ، مُسْتَمْتِعًا بِتِلْكَ

النَّشْوَة الوَحْشيَّة الَّتي تكْمُنُ في عَمَليّات الصَّيْدِ وَالقَتْلِ الَّتي تَقومُ بها . وَعادَ إلى المُعَسْكَرِ عَلى أَثَرِ إِحْدى تِلْكَ الرِّحْلاتِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِتَوَتُّرٍ مُفاجِئٍ ، وَتَأَكَّدَتْ شُكوكُهُ عِنْدَما خَطا بِضْعَ خُطُواتٍ خِلالَ الأَشْجار ، وَصادَفَ أَحَدَ كِلاب ثورنتون يَرْقُدُ مَطْعونًا بِسَهْمٍ نافِذٍ . وما إنْ وَصَلَ بَكْ إلى حافَةِ المُعَسْكَرِ حَتّى تَلَقّى الصَّدْمَةَ الكُبْرى .

لَمْ يَكُنْ بِالمُعَسْكَرِ أَيُّ أَثَرٍ لِلْحَياة ؛ فَقَدْ أَغارَتْ عَلَيْهِ مَجْموعَةٌ مِنَ الهُنود مِنْ قُطّاعِ الطُّرُقِ ، وَلَمْ يَكُنْ هُناكَ سِواهُمْ . وَكانوا يَرْقُصونَ وَهُمْ في قِمَّةِ مَرَحِهِمْ . وَبِدونِ سابِقِ إِنْذارٍ وَثَبَ بَكْ عَلَيْهِمْ في تَصْميمٍ لِلانْتِقامِ لِمَقْتَلِ سَيِّدِهِ ، فَأَخَذَ يَنْهَشُ الحَناجِرَ وَالأَطْرافَ في جُنونٍ مُدَمِّرٍ ، وَصَبَّ عَلى هَؤُلاءِ القَتَلَة جامَ غَضَبِه ؛ فَأَسْرَعَ الهُنودُ بِالفِرارِ وَهُمْ في ذُهولٍ رَهيبٍ مِنْ وُجودِ هَذا النَّوْعِ مِنَ الوُحوشِ ، وَالَّذي لَمْ يَسْبِقْ لَهُمْ أَنْ شاهَدوا مِثْلَهُ قَطُّ .

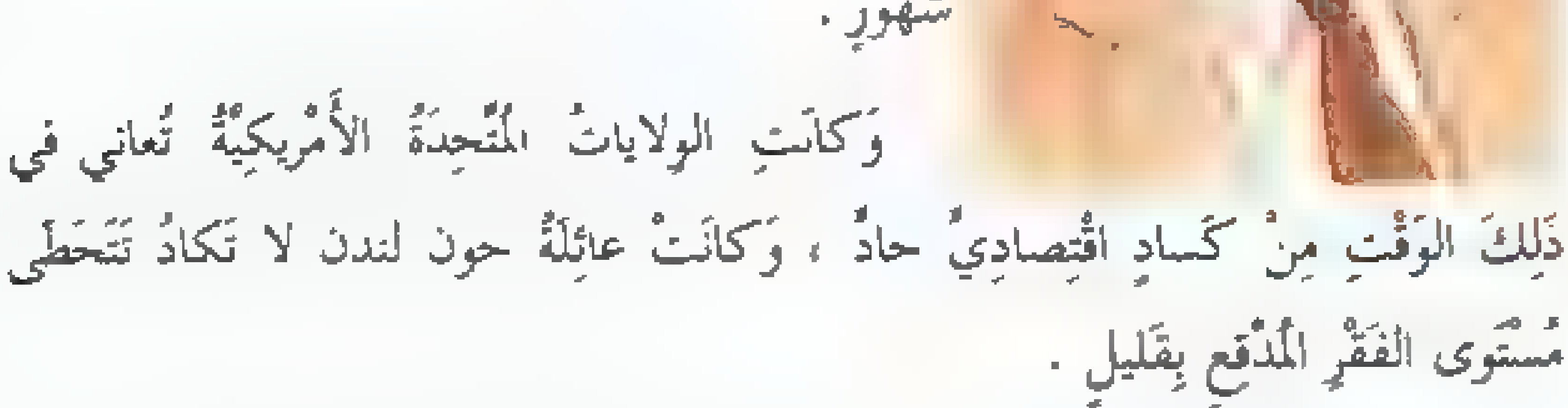
وَفي النِّهايَة لَمْ يَعُدْ هُناكَ سِوى بَكْ في المُعَسْكَرِ ، يَتَنَقَّلُ في حُزْنٍ بَيْنَ ذَلِكَ الدَّمارِ الَّذي كانَ في يَوْمٍ مِنَ الأَيّامِ مَأْوىً لَهُ ، وَهُوَ يَتَلَمَّسُ أَيَّ أَثَرٍ لِسَيِّدِه . وَأَخيرًا وَجَدَ سَيِّدَهُ مُمَدَّدًا في بِرْكَةِ مِياهٍ عَميقَةٍ وَبِجانِبِهِ كَلْبُهُ الثّالِثُ يَرْقُدُ مَيِّتًا في إِخْلاصٍ لِسَيِّدِه حَتّى النِّهايَة ، فَارْتَمى بَكْ بِجانِبِهِما كَسيرَ القَلْبِ ، وَأَعَدَّ نَفْسَهُ لِلسَّهَرِ وَحيدًا .



وَبَيْنَما هُوَ في حالَتِهِ هَذِهِ إذا بِهِ يَسْمَعُ عَنْ بُعْدٍ عُواءَ أَحَدِ الذِّئابِ . وَتَبيَّنَ أخيراً أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ مُرْتَبِطاً بِالإنْسانِ ؛ فَوَثَبَ عَلى قَدَمَيْهِ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الصَّوْتِ بَعْدَ أَنْ تَوَقَّفَ لَحْظَةً لإلْقاءِ نَظْرَةِ وَداعٍ أخيرَةٍ عَلى الرَّجُلِ الوَحيدِ الَّذي أَحَبَّهُ . وَفي تِلْكَ اللَّيْلَةِ انْضَمَّ بَكْ وَللأبَدِ إلى مَجْموعَةِ الذِّئابِ . وَكانَ يُرى بَعْدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَقودُ المَجْموعَةَ خِلالَ تَجْوالِها عَبْرَ الأراضي القاحِلَةِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ حُرًّا في النِّهايَةِ بَعْدَ ما لَبّى نِداءَ البَراري .



المؤلف



وُلِدَ جاك لندن في يناير عامَ ١٨٧٦ في سان فرانسيسكو بِكاليفورنيا ، وَكانَ يَحْمِلُ اسْمَ جون غريفيث شاني . وَعِنْدَ مَوْلِدِهِ كانَتْ والِدَتُهُ قَدِ انْفَصَلَتْ عَنْ والِدِهِ ، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ تَزَوَّجَتْ جون لندن عِنْدَما بَلَغَ ابْنُها مِنَ العُمْرِ ثَمانِيَةَ شُهورٍ .

وَكانَتِ الوِلاياتُ المُتَّحِدَةُ الأَمْريكِيَّةُ تُعاني في ذَلِكَ الوَقْتِ مِنْ كَسادٍ اقْتِصادِيٍّ حادٍّ ، وَكانَتْ عائِلَةُ جون لندن لا تَكادُ تَتَخَطَّى مُسْتَوى الفَقْرِ المُدْقِعِ بِقَليلٍ .

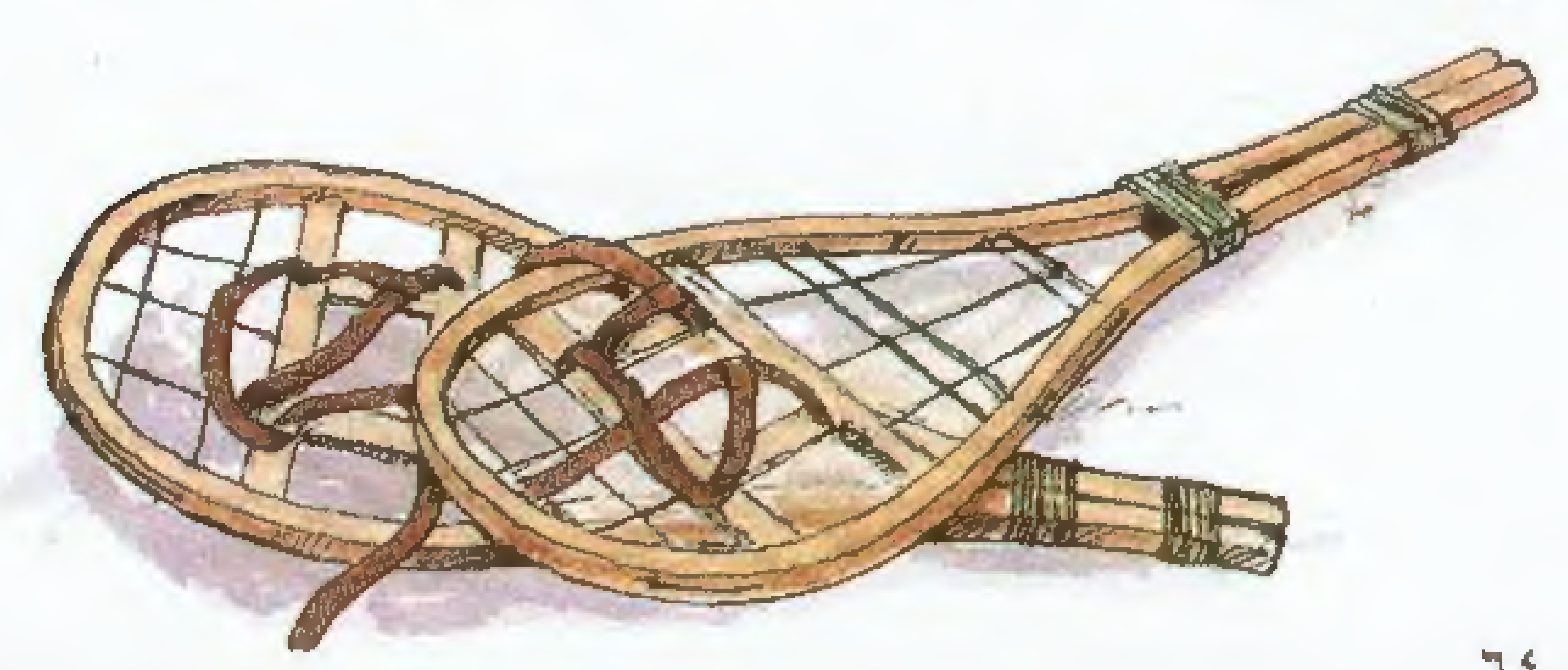
وَقَدْ تَنَقَّلَتِ الأُسْرَةُ ما يَقْرُبُ مِنْ خَمْسِ مَرّاتٍ خِلالَ السَّنَواتِ السَّبْعِ التّالِيَةِ ، حَيْثُ كافَحَ جون لندن وَمارَسَ مِهَنًا مُخْتَلِفَةً في مَجالِ الزِّراعَةِ وَالبَيْعِ بِالتَّجْزِئَةِ ، إِلى أَنِ اسْتَقَرَّتِ الأُسْرَةُ أَخيرًا في أوكلاند بِكاليفورنيا .

وَهُناكَ بَدَأَ جاك لندن دِراسَتَهُ وَلَكِنْ زَوْجَ والِدَتِهِ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أُصيبَ في حادِثِ قِطارٍ ، وَكانَ عَلى جاك أَنْ يَبْدَأَ في السَّعْيِ لِلْحُصولِ عَلى النُّقودِ وَتَوْفيرِها لِلأُسْرَةِ ، فَمارَسَ كُلَّ أَنْواعِ المِهَنِ لِلْحُصولِ عَلى أَيِّ مَكْسَبٍ مُمْكِنٍ . وَما إِنْ بَلَغَ سِنَّ الرّابِعَةَ عَشْرَةَ حَتّى اضْطُرَّ لِتَرْكِ الدِّراسَةِ لِيَلْتَحِقَ بِالعَمَلِ في مَصْنَعٍ لِلْمُخَلَّلاتِ . وَكانَتْ تِلْكَ المِهْنَةُ هِيَ تَجْرِبَتَهُ الأولى مَعَ العَمَلِ اليَدَوِيِّ المُجْهِدِ وَالمُضْني ، حَيْثُ كانَ يَعْمَلُ عَشْرَ أَوِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً يَوْمِيًّا مُقابِلَ أَجْرٍ قَدْرُهُ عَشَرَةُ سِنْتاتٍ في السّاعَةِ . وَقَدْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ النّاسَ الَّذينَ يُصيبُهُمُ الفَقْرُ يَكونُ مُقَدَّرًا عَلَيْهِمُ العَيْشُ في مُعاناةٍ مَهْما كانَتْ خِصالُهُمْ . وَقَدْ صُدِمَ لَدى مَعْرِفَتِهِ بِمَدى الثَّراءِ وَالامْتِيازاتِ الَّتي

يَجْنيها أصْحابُ المصنع مِنْ كَدِّ عُمّالِهِمْ . وَكانَتْ هَذِهِ هِيَ البِدايَةَ بِالنِّسبَةِ لاتِّجاهاتِهِ الاشْتِراكِيَّةِ الَّتي اعْتَنَقَها طَوالَ حَياتِهِ ، وَالَّتي دَعَّمَتْها سِلْسِلَةٌ مِنَ المِهَنِ المُضْنِيَةِ وَالمُهِينَةِ عَلى حَدٍّ سَواءٍ . نَشَأَ جاكُ صَبِيًّا واضِحَ النَّشاطِ ، وَسَرْعانَ ما عَلِمَ أَنَّهُ يَسْتَطيعُ مِنْ خِلالِ مَجْهوداتِهِ هُوَ فَقَطْ أَنْ يَتَجَنَّبَ مُسْتَقْبَلاً مُظْلِمًا .

ثُمَّ بَدَأَ دَخْلُهُ في التَّحَسُّنِ وَهُوَ في سِنِّ السّابِعَةَ عَشْرَةَ ، وَإِنْ كانَ دَخْلاً غَيْرَ مَشْروعٍ ؛ لأَنَّهُ كانَ يَرْبَحُهُ مِنْ خِلالِ الإغارَةِ عَلى تَجَمُّعاتِ مَحاراتِ اللُّؤْلُؤِ في خَليجِ سان فرانسيسكو . وَهُناكَ عاشَ حَياةً طائِشَةً مُشاغِبَةً ، ثُمَّ أَبْحَرَ لِلْيابانِ ضِمْنَ طاقَمِ بَحّارَةِ إِحْدى السُّفُنِ . وَقَدْ أَمْضى ما يَقْرُبُ مِنَ العامِ وَهُوَ يَجوبُ أَنْحاءَ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكِيَّةِ سَيْرًا عَلى الأَقْدامِ ، حَتّى إِنَّهُ سُجِنَ لِمُدَّةِ ثَلاثينَ يَوْمًا بِسَبَبِ النَّوْمِ في أَحَدِ الحُقولِ بِشَلّالاتِ نياغرا . وَعِنْدَما عادَ إِلى كاليفورنيا اسْتَطاعَ الحُصولَ عَلى مَكانٍ في جامِعَتِها ، الأَمْرُ الَّذي يُعَدُّ إِنْجازًا ضَخْمًا بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ تَلَقّى تَعْليمًا مَحْدودًا ، إِلّا أَنَّهُ اضْطُرَّ إِلى الانْسِحابِ قَبْلَ انْقِضاءِ عامِهِ الأَوَّلِ في الجامِعَةِ ؛ بِسَبَبِ المَشاكِلِ المادِّيَّةِ المُسْتَمِرَّةِ لأُسْرَتِهِ .

وَهَكَذا عادَ مَرَّةً أُخْرى إِلى العَمَلِ اليَدَوِيِّ وَلَكِنْ في إِحْدى المَغاسِلِ هَذِهِ المَرَّةَ . وَفي عامِ ١٨٩٧ انْطَلَقَ إِلى شَمالِ كَنَدا المُتَجَمِّدِ بَحْثًا عَنِ الذَّهَبِ ، ضِمْنَ العَديدِ مِمَّنْ تَدَفَّقوا عَلى مِنْطَقَةِ كلونديك لِهَذا الغَرَضِ وَلَكِنَّهُ عادَ بَعْدَ عامٍ مَريضًا وَمَعَهُ



القَليلُ مِنَ الذَّهَبِ ، وَلكِنَّهُ أَيْضاً كانَ يَحْمِلُ رَصيداً مِنَ المعْلوماتِ أتاحَ لَهُ فُرْصَةَ البَدْءِ في الكِتابَةِ .

وَبَعْدَ مَجْهوداتٍ لا بَأْسَ بِها مِنْ جانِبِهِ ، بِالإِضافَةِ لِلأَعْمالِ العَديدَةِ الّتي رُفِضَتْ ، اسْتَطاعَ جاك لندن في عامِ ١٨٩٩ أَنْ يَنْجَحَ في نَشْرِ قِصَصِهِ القَصيرَةِ بِانْتِظامٍ ، في مَجَلَّةِ « أوفرلاند الشَّهرية » . وَكانَ نَجاحُ جاك سَريعاً وَمَلْحوظاً بِالنِّسْبَةِ لِشَخْصٍ عِصامِيٍّ عَلَّمَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلى دِرايَةٍ كافِيَةٍ بِعالَمِ النَّشْرِ . وَبَعْدَ مُرورِ أَرْبَعِ سَنَواتٍ وَمَعَ نَشْرِ رِوايَتِهِ « نِداء البَراري » في عامِ ١٩٠٣ اكْتَسَبَ جاك شُهْرَةً عالَمِيَّةً ذائِعَةَ الصِّيتِ .

وَقَدْ تَمَيَّزَتِ السَّنَواتُ الثَّلاثَ عَشْرَةَ الأَخيرَةُ مِنْ حَياتِهِ بِتَحَسُّنٍ مَلْحوظٍ في أَحْوالِهِ المالِيَّةِ ، بِالإِضافَةِ إِلى نَشاطِهِ الأَدَبِيِّ الغَزيرِ ، حَيْثُ كانَ يَحْيا حينَئِذٍ حَياةً زَوْجِيَّةً سَعيدَةً مَعَ زَوْجَتِهِ الثّانِيَةِ (حَيْثُ كانَ زَواجُهُ الأَوَّلُ في عامِ ١٩٠٠ مَأْساةً) .

وَقَدْ أَلْقى جاك الخُطَبَ في كُلِّ أَنْحاءِ الوِلاياتِ المُتَّحِدَةِ الأَمْريكِيَّةِ ، كَما قامَ بِعِدَّةِ رِحْلاتٍ جَريئَةٍ تَتَطَلَّبُها كُتُبُهُ ، وَأَدارَ أَيْضاً مَزْرَعَةً ناجِحَةً لِتَرْبِيَةِ العُجولِ ، وَعَمِلَ كَذلِكَ مُراسِلاً حَرْبِيًّا ، وَكَتَبَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتابًا في القِصَّةِ القَصيرَةِ ، بِالإِضافَةِ لِسِتَّةِ كُتُبٍ في المَقالاتِ وَثَلاثِ مَسْرَحِيّاتٍ ، وَإِحْدى وَعِشْرينَ رِوايَةً ، كانَ مِنْ أَشْهَرِها « نِداءُ البَراري » ، وَ « النّابُ الأَبْيَضُ » ، وَ « ذِئْبُ البَحْرِ » .

وَقَدْ تُوُفِّيَ جاك لندن في نوفمبر ١٩١٦ ، وَرَغْمَ أَنَّ حَياتَهُ كانَتْ قَصيرَةً إِلا أَنَّ مُعْظَمَ المُعَلِّقينَ ذَكَروا أَنَّهُ قَدَّمَ خِلالَ حَياتِهِ القَصيرَةِ - الَّتي بَلَغَتْ أَرْبَعينَ عامًا فَقَطْ - أَكْثَرَ مِمّا يُنْتِجُهُ ثَلاثَةُ مُؤَلِّفينَ .

كتب الفراشة - القصص العالمية

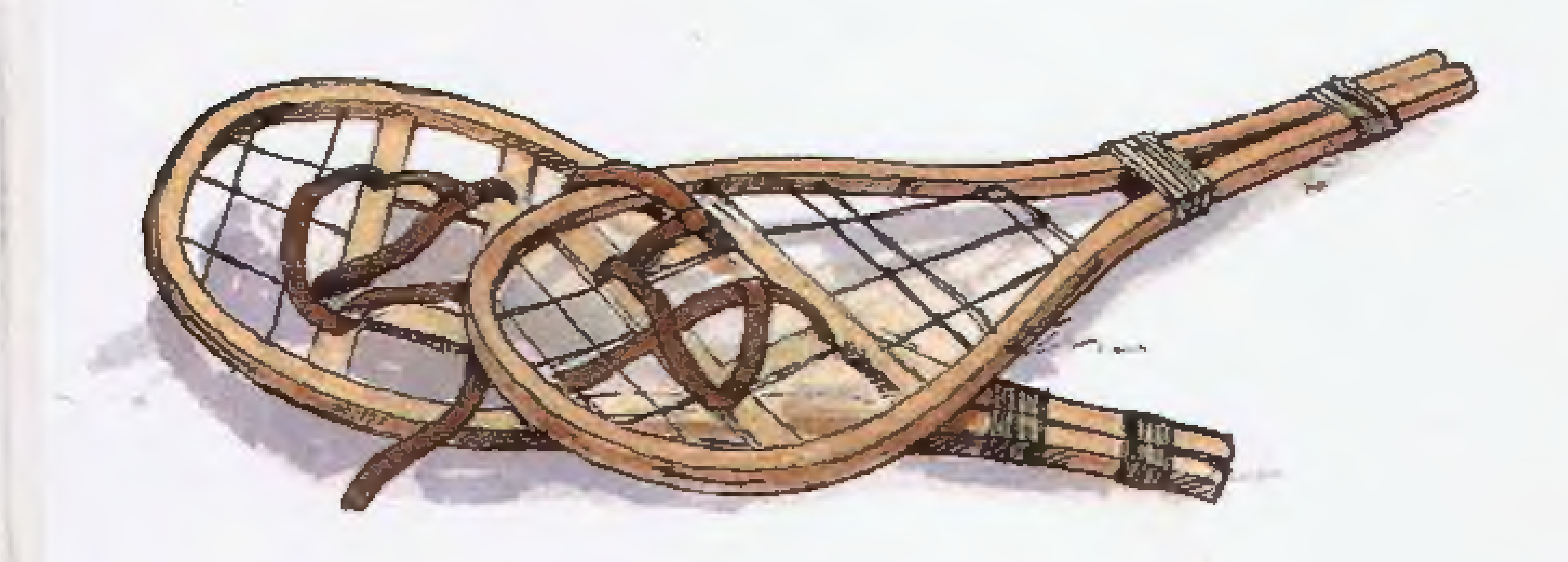
١ - الدُّكتور جيكل ومستر هايْد
٢ - أوليفَر تْويسْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْفيل
٨ - قِصَّة مَدينَتَين
٩ - مونْفليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير



كتب الفراشة

القصص العالمية ٣. نداء البراري

اِختارَت **مكتبة لبنان ناشرون** أَرْوَعَ القِصص العالَمِيّة ، ونَقَلَتها إلى العَربيَّة مُبسَّطة ، مُراعِيَةً الأَمانَة في النَّقل والمُحافَظة على جَزالة الأُسْلوب العَربيّ وبَلاغته ، مَع تَشكيل كامِل وضَبْط دَقيق . وقد أَشْرَفَ على هٰذه السِّلسلة خُبَراء دائِرَتَي النَّشْر والمَعاجم في مكتبة لبنان ناشرون حتّى نُوفِّر للقارئ العربيّ إنْتاجًا فكريًّا مُتفوِّقًا مَظْهرًا ومَضْمونًا .



مَكتَبة لبنان ناشِرون

